

البردة الألفية أنى مدح خير البرية



أنشودة الليل التعبدية من روضة النور المحمدية

يتجنى عمري

المبردة الألفية في شرح خير المبردة

أنشودة الليل النورية من الوضوء النورانية

صلى الله عليه وسلم

تأليف

يحيى عمري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

عنوان الكتاب: البردة الألفية في مدح خير البرية: أنشودة الليل التعبدية من روضة النور المحمدية

تأليف: يحيى عمري

موضوع الكتاب: شعر المديح النبوي، تصوف إسلامي

سنة النشر الأصلية: ١٤٤٤هـ - 2023م

رقم الإيداع الدولي: 3-133-22-9931-978 ISBN

دار ومضة للنشر والتوزيع والترجمة

جبل - الجزائر

هاتف: 034550887 / 00213657300415

البريد الإلكتروني: wamdaedition@gmail.com

البردة الألفية في مدح خير البرية: أنشودة الليل التعبدية من روضة النور المحمدية

Original Copyright © Februry 2023 / 2026 by

Yahia Amri

All right reserved

جميع الحقوق محفوظة

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, or transmitted, in any form or by any means, electronic, or mechanical, including photocopying, recording, or by any information storage retrieval system without the prior permission in writing permission of the author.

جميع الحقوق محفوظة. لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو جزء منه، أو نقله بأي شكل أو واسطة من وسائط نقل المعلومات. سواء أكانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ أو التسجيل أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد الأحد الموحّد، والصلاة والسلام علي نبيا مُحمّد، الأمي وصاحب القول المسدّد، ونحن إلى يوم الدين نشهد، والألسن والجوارح تردّد، بأن الله تعالى واحد يُعبد، وأن رسالة الله أتمّ أدائها المجتبي احمد، شهادة ندّخرها يوم يرفع عن أعيننا الحجاب، ولا أمل يرتجى للإياب، ولا تنفع توبة من تاب، فريق لهم الجنة ثواب، وفريق حقّ عليه العقاب.

والحمد لله نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلّل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن مُحمّدًا عبده ورسوله صلوات الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، أما بعد هداانا الله وسدّدنا، ووفّقنا لطاعته: فجلّ ما يسعني قوله عن هذا العمل، هو أنّ كل ما كان من توفيق، فبمّنة الله تعالى وفضله العظيم، وما كان من تقصير فمن نفسي، والله وحده الغفور الرحيم.

دعوني أولاً أحبة قلبي إلى المبادرة بشكر العظماء الذين حين جلست عند أقدامهم، تكرموا برفعي فوق رؤوسهم. قبل أن يكونوا الأساتذة، وأكون التلميذ، كانوا الآباء وكنت الابن، كنّ الأمهات وكنت الولد المدلّل. تقديري العظيم، امتناني الكبير وشكري الجزيل، عاجزون عن التعبير عن كل ما أنا مدين به لكم، فجزاكم الله سبحانه وتعالى عزّ وجلّ أفضل وأعظم الجزاء، على كل ما بذلتموه لأجل هذا العبد الحقير.

أنوه أحببنا الكرام إلى أنه وبالرغم من المجهود العظيم والجبار الذي بذلناه في الاعتناء بهذه الوردة، وعدم ترك فرشاة العشق ترتاح، ودفعها للبقاء معتكفة على تلوين وتزيين براعم هذه الوردة الصوفية، فإن بعض اللمسات قد تكون فاتتنا، بعضها راجع إلى غفلة

الصالحين، وبعضها راجع إلى كوني فعلا «طفل صغير»، وكل شيء يندرج تحت حقيقة أن الكمال لله تعالى وحده.

ولا يسعني في الأخير إلا القول بأن هذا العبد الحقير الذي لا جهد له ولا قدرة له حاول جهده البلوغ بهذه الوردة الصوفية إلى روضة النور المحمدية، والكمال لله وحده وهو سبحانه من يهدي السبيل، وأسأل الله تعالى أن يجعلها في ميزان حسنات جميع المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات، أحياء وأمواتا... آمين رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، اللهم بجاه الحبيب المصطفى آمين.

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: «من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب. وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه ولئن استعاذ بي لأعيذنه. وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته».

صحيح البخاري - الحديث 6502

البردة الألفية في مدح خير البرية: أنشودة الليل التعبدية من روضة النور المحمدية

البردة الألفية ملحمة صوفية تقع في ألف بيت، تتبع البحر البسيط، ورويتها الميم المكسورة، وهي مقسمة على عشرة مقامات، ممثلة بمقامات النور في سورة النور:

المقام الأول «الله»: الأسرار العرفانية للطوائف الصوفية

المقام الثاني «نور السماوات والأرض»: الحروف الياقوتية للأنوار المحمدية

المقام الثالث «مثل نوره كمشكاة»: الآيات الربانية في المقامات الفتوحية

المقام الرابع «فيها مصباح»: الفوانيس الكافورية في المزارات المشكاتية

المقام الخامس «المصباح في زجاجة»: الفتوحات الإلهية في الأوراد الإيمانية

المقام السادس «الزجاجة كأنها كوكب دري»: البركات النورانية للأقطاب الربانية

المقام السابع «يوقد من شجرة مباركة»: المناسك الوجودية في الخلوات الروحية

المقام الثامن «زيتونة لا شرقية ولا غربية»: الأسفار الروحية إلى الحقائق الملكوتية

المقام التاسع «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسه نار»: التجليات الفيضانية في المكاشفات الغيبية

المقام العاشر «نور على نور»: المنازل الفردوسية في الفناءات الشهودية

مقدمة: المديح النبوي في الإسلام

يقول أبو بكر الصديق رضي الله عنه على الوافر:

كضوءِ البدرِ زائلهُ الظلامِ	أمينُ مصطفى للخير يدعو
طَوَّالِ الدهرِ ما سجع الحمام	سأتبع هديه ما دمت حيًّا
تراهم من ذؤابتِه نظام	أدين بدينه ولكلِّ قومٍ
وَوَدَّعَنَّا من الله الكلامُ	فقدنا الوحي مذ وليت عنَّا

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه على الطويل:

ببرهانه والله أعلى وأجودُ	ألم تر أن الله أرسل عبده
فدو العرش محمود وهذا محمدُ	وشقَّ له من اسمه ليُجله

جاء في الحديث 6150 من صحيح البخاري: «عن عائشة رضي الله عنها قالت: استأذن حسان بن ثابت رسول الله صلى الله عليه وسلم في هجاء المشركين. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فكيف بنسبي؟ فقال حسان: لأسلنك منهم كما تسلّ الشعرة من العجين». وعن هشام بن عروة عن أبيه قال: «ذهبت أسبّ حسان عند عائشة فقالت: لا تسبّه، فإنه كان ينافح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم». الله صلى الله عليه وسلم.

وفي الحديث 453 من صحيح البخاري: حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال: أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة: أنشدك الله هل سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «يا حسن أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، اللهم أيّده بروح القدس» قال أبو هريرة: نعم. وفي

الحديث 3213 من صحيح البخاري: عن البراء رضي الله عنه قال: «قال النبي لحسان: اهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك».

ولعل أشهر قصائد حسان ابن ثابت رضي الله عنه هي همزية الوافر التي مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواءُ إلى عذراء منزلها خلاءُ
ديارٌ من بني الحُصْحَاسِ قُفْرٌ تعقّيهـا الروامِسُ والسَّماءُ

جاء في صحيح مسلم: عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اهجوا قريشا. فإنه أشد عليها من رشق بالنبل». فأرسل إلى ابن رواحة فقال «اهجهم» فهجاهم فلم يُرض. فأرسل إلى كعب بن مالك. ثم أرسل إلى حسان بن ثابت. فلما دخل عليه، قال حسان: قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد الضارب بذنبه. (والمقصود بذنبه لسانه).

ثم أدلع لسانه فجعل يحركه. فقال: والذي بعثك بالحق، لأفريتهم بلساني فزّي الأديم. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تعجل. فإن أبا بكر أعلم قريش بأنسابها. وإن لي فيهم نسبا. حتى يلخص لك نسي» فأتاه حسان. ثم رجع فقال: يا رسول الله، قد لحّص لي نسبك. والذي بعثك بالحق لأسلّك منهم كما تسلّ الشّعة من العجين.

قالت عائشة: فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان «إنّ روح القدس لا يزال يؤيدك، ما نافحت عن الله ورسوله». وقالت رضي الله عنها: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «هجاهم حسان فشفى واشتفى». قال حسان:

هجوتُ مُحمّداً فأجبت عنه وعند الله في ذاك الجزاء
هجوتُ مُحمّداً برا تقياً رسول الله شيمته الوفاء
فإنّ أبي ووالده وعرضي لعرض مُحمّد منكم وقاء

انظر الحديث 2490 في صحيح مسلم، مع التنويه إلى أن الأبيات الواردة في صحيح مسلم ليست القصيدة الكاملة.

جاء في الحديث 1155 من صحيح البخاري: عن ابن شهاب أخبرني الهيثم بن أبي سنان أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه - وهو يقصُّصُ في قصصه - وهو يذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن أخوا لكم لا يقول الرفث، يعني بذلك عبد الله بن رواحة - على الطويل:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا به موفيات أن ما قال واقع
بيت يجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

ولعل أشهر شعراء مدح الرسول صلى الله عليه وسلم في حياته بعد كل من حسان بن ثابت و عبد الله بن رواحة وكعب بن مالك، رضي الله عنه، هو كعب ابن زهير ابن أبي سلمى رضي الله عنه، واشتهرت قصيدة البردة¹ لكعب ابن زهير بانث سعاد - على البحر البسيط، ومطلعها:

بانث سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يُفدَ مكبول
وما سعاد غداة البين إذ رحلوا إلا أغنَّ غضيض الطرف مكحول

وجاء فيها:

¹ قصيدة البردة لكعب بن زهير بن أبي سلمى: البردة هي كساء يُلتحف به، وانما سُميت قصيدة كعب بن زهير «بانث سعاد» بالبردة، لأنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وأنشده القصيدة طالبا الصفح، فكساه النبي صلى الله عليه وسلم بردته، فأطلق اسم البردة على قصيدة كعب بن زهير رضي الله عنه.

أُنِئْتُ أَنْ رَسُولَ اللَّهِ أَوْعَدَنِي والعفو عند رسول الله مأمول
مهلاً هداك الذي أعطاك نافلة ال قرآن فيها مواعيط وتفصيل
لا تأخذني بأقوال الوشاة ولم أذنب وقد كثرت في الأقاويل

جاء في الحديث 6657 من مستدرك الحاكم: أنشد النبي ﷺ كعب بن زهير بانت
سعاد في مسجده بالمدينة فلما بلغ قوله:

إن الرسول لسيفٌ يُستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
في فتية من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا

أشار رسول الله ﷺ بكمه إلى الخلق ليسمعوا منه. قال وقد كان بجير بن زهير كتب
إلى أخيه كعب يخوفه ويدعوه إلى الإسلام وقال فيها أبياتا على الطويل:

من مبلغ كعبا فهل لك في التي² تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتنجوا إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلتٍ من النار إلا طاهر القلب مُسلم
فدين زُهير وهو لا شيء باطل ودين أبي سلمى عليّ محرم

وبعد انتقال الرسول ﷺ إلى الرفيق الأعلى، يمكن القول بأن قصيدة واحدة في مدح
أهل البيت ذاعت شهرتها، وحلقت في سماء الشعر، ألا وهي ميمية الفرزدق على البسيط،

² في صدر البيت، التفعيلة الأولى، فعولن أت بصورة عولن، وهذا جائز في الطويل.

لما تنحى الناس للإمام زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب في موسم الحج حتى يدرك الحجر الأسود، وجاء فيها:

يا سائلي: أين حلّ الجود والكرم	عندي بيان إذا طلابه قدموا
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته	والبيت يعرفه والحلّ والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم	هذا النقي النقي الطاهر العلم
هذا بن فاطمة إن كنت جاهله	بجده أنبياء الله قد خُتموا
ما قال لا قط إلا في تشهده	لولا التشهد كانت لاءه نعم

هذا وأشهر من عارض قصيدة بانت سعاد هو ابن نُباته المصري رحمته الله في قصيدة طويلة بديعة تمتاز بصوت مميز:

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول	هذا وكم بيننا من ربعكم ميل
يا باعثن سهادا لي وفيض بكا	مهما بعثتم على العينين محمول
هَبْكم منعتم جفوني من خيالكم	فكيف يمنع تذكّار وتخيل

ومن بين قصائد المديح النبوي، بردة الإمام مُحمَّد بن سعيد البوصيري، والتي جاءت في حوالي 160 بيتاً، وإن لم ترقِ القصيدة إلى مصاف الشعر الرفيع، وجاءت في صورة تعليمية مُصاغة وفق قالب شعريّ، إلا أنّ مطلعها الذي يعدّ واحداً من أبدع المطالع الشعرية، ترك أثراً خالداً في النفوس:

أمن تذكر جيرانٍ بذى سلم	مزجت دمعا جرى من مقلة بدم
أم هبت الريح من تلقاء كاظمة	وأومض البرق في الظلماء من إضم
فما لعينيك إن قلت اكفها همتا	وما لقلبك إن قلت استفق يهم

ومن المعلوم أن بردة البوصيري رحمه الله قد اشتهرت بين العام والخاص، وهذا بسبب الاكتشاف الكبير الذي قامت به الوهابية، والمتمثل في أن بردة البوصيري بها أبيات مخرجة من الملة وهي شرك أكبر!

وتعزّز هذا الاكتشاف باكتشافهم الأعظم، ألا وهو أن عقيدة أهل السنة والجماعة الممثلة بالسادّة الأشاعرة والماتريدية، ليست عقيدة السلف، الماتريدية معطّلة، أما السادة الأشاعرة فجهمية! حسبنا الله ونعم الوكيل، ستكتب شهادتهم ويستلون.

إذن، اكتشفت النابتة الحشوية في زماننا هذا، خوارج العصر، الطائفة التلفية المعروفة بالوهابية، أنّ قصيدة البوصيري تحوي أبياتاً مخرجة من الملة! يعني أنّ البوصيري لم ينتبه إلى أنّه نظم أبياتاً مخرجة من الملة، وأن علماء أمة سيد الأنام مُحَمَّد ﷺ، فانتهم وعلى مدار أكثر من خمسة قرون أن بردة البوصيري تحوي أبياتاً مخرجة من الملة، وكانت تنتظر أن تنبت نابتة من السفلة الجهلة لتكتشف هذا الأمر!. والله نعوذ بالله من فساد الجنان وزلقات اللسان.

واكتشفت من خلال استدلالات يستحي حتى الحمار من القيام بها، أن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف بدعة، لأن النبي ﷺ لم يفعله! وهذا تبعا لكبيرهم الذي علّمهم السحر، فحسبنا الله ونعم الوكيل. يقول البوصيري:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به	سواك عند حدوث الحادث العمم
ولن يضيق رسول الله جاهك بي	إذ الكريم تحلى باسم منتقم
فإن من جودك الدنيا وضرتها	ومن علومك علم اللوح والقلم

واضح أنهم لم يقرأوا حديث الشفاعة الكبرى، والكارثة أنهم يعتقدون بأن علم اللوح المحفوظ هو علم الله تعالى!!

على أية حال، يقول البوصيري رحمته الله بعد الأبيات الثلاثة مباشرة:

يا ربّ واجعل دعائي غير منعكس لديك واجعل حسابي غير منخرم
والطف بعبدك في الدارين إنّ له صبرا متى تدعه الأهوال ينهزم

هذا وأجمعت الأمة على جواز التوسل بالأنبياء والصالحين أحياء وأمواتا، حتى طلعت فتنة الدعوة النجدية بزعامة قرن الشيطان محمد بن عبد الوهاب النجدي، فجعلت التوسل شركا أكبر مخرجا من الملة، وأنّ زائري وزائرات قبور الأنبياء والصالحين، عبادة قبور، فهم لديهم شغف منحرف بإكفار الأمة الإسلامية جمعاء، وهذا لا يستغرب منهم، فشيخهم النجدي قال أن «علماء» عصره لا يعرفون معنى لا إله إلا الله!

نعم، هناك أخطاء تقع عند القبور قد تصل إلى الشرك الخفيّ، لكنها لن تكون شركا أبدا، ولن تكون محبطة للعمل ولا مخرجة من الملة، فالمسلم الذي يضع وجهه على الأرض، يستحيل أن يعبد قبرا. نسأل الله تعالى لنا ولهم الهداية، والأولى في مقامنا هذا أن نترفع عن ذكرهم.

على ضوء ما سبق، يتضح أنّ المنهل الأول لشعر المديح النبوي هو السيرة النبوية العطرة، وهناك مئات القصائد تتفاوت حسب درجة الشاعرية، وتتصدرها بردة سيدنا كعب بن زهير رحمته الله.

لكن كما تطور الشعر العربي ليصل إلى ذروته مجسدا في المعلقات، ثم تهدّب من خلال الإسلام، فقد تطور شعر المديح النبوي، وارتقى إلى فنّ مميز جدا ونادر، يعبر عن فلسفة العشق الإلهي، إنه الشعر الصوفي.

الشعر الصوفي مقام خطير جدا، عالمه محجوب ومستور، أكوانه اللاهائية لا تنفكّ تموج وتمور، يستحيل الدخول إلى بحره المسجور، إنما تُلقى فيه الأرواح التي تغلي وتفور، لا

حل أمام شعراءه سوى الغرق فيه، لتكتب أسمائهم على ما فيه. تاركين حقيقة راسخة، ألا
وهي أنهم شهداء العشق الإلهي.

اللهم كما جعلتنا نبات نعمك فلا تجعلنا حصائد نقمك، واحشرنا في زمرة من تستنزل الرحمة بذكرهم، وترتجى المغفرة والخيرات بشكرهم وكشفت لهم عن سر بعض تحقيق توحيدك فشاهدتهم بعض الملكوتيات وذلك من بعض الكرامات وأشهدتهم بعض أنوار قدسك فلاح لهم بعض التجليات، إنك مجيب الدعوات وكاشف الكربات وراحم العبرات يا من عمت رحمته الأحياء والأموات. وصلى الله وسلم على سيدنا محمد صاحب المعجزات الظاهرات والآيات الباهرات وسلم تسليما كثيرا.

شيخ الإسلام تقي الدين الحصني رضي الله عنه

وأغدق قبره الشريف بالأنوار والرحمات وجعل الفردوس الأعلى من الجنة متقلبه ومثواه

آمين رب العالمين

تمهيد: حكاية البردة الألفية

بسم الله والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد: آثرت التحدث بكلمات قليلة هنا لأنّ شخصية عزيزة على قلبي سألتني يوما ما: كيف تنظم الشعر؟. فأجبتها: سهلة، أترّبع في مواجهة الحاسوب ثم أبدأ!. من الصعب جدا استيعاب حقيقة أنني أصبح ذاتا شاخصة.

يستحيل أحبتي التحدث عن المقصد دون التحدث قليلا عن الرحلة، لأنها تبقى جزءا أساسيا يلمس ويحرك كل روح عاشقة. صدقني، صدقيني، لا يوجد طريق مختصر، الفكرة أتتني أواخر سنة 2014، لكن التجسيد الفعلي كان أواخر سنة 2021. التجسيد كان خلال فترة وجيزة، التنقيح، التصحيح، المراجعات... تطلّبوا جهدا عظيما، لكن يستحيل تفادي جميع الأخطاء، العمل كان لسنوات، الوقفة ستكون لحياة، والحكاية لن تكتمل. سنة 2021، فجّرت كل شيء داخلي، وفجّرتني كلّ شيء، حتى هويت، هويت إلى أعماق سحيقة جدا ولم أجد شيئا أتشبث به سوى الدعاء.

بعدها انعزلت عن الجميع، باستثناء شخص واحد فقط، ثم إنّ كلّ ما تطلّبه الأمر هو حجرة صغيرة، مصباح بإنارة خافتة جدا، وحاسوب!

أشعة الذكريات تلامست مع الأمنيات، فتذكرت، وكما يقول النابغة الجعديّ (رحمته الله):

تذكرت والذكرى تهيج لذي الهوى ومن حاجة المحزون أن يتذكرا

تذكرت حين كان ذلك الصبي صغيرا، مولعا بلعب الغميضة والاختباء وسط سنابل القمح، خضراء أو صفراء، وهناك... هناك نمتي شغفي بالأكوان اللامرئية!

ذلك الصبي ولد في الـ 20 من أكتوبر لسنة 1993 على الساعة الحادية عشرة والنصف صباحا، بمدينة حسين داي، الجزائر العاصمة، دخل المدرسة سنة 1999، في

المرحلة الابتدائية كان مميزا، في المرحلة الإعدادية كان آسرا. بانتهائها انتبه إلى أن كلّ هذه الأمور تقوم بإبعاده عن شغفه، فتحول بطريقة تلقائية تلميذا عاديا في الثانوية العامة. استفتح المرحلة الجامعية بفشل أرسى حقيقته المحيرة: ليتبارك اسم الله، شيء غامض يتدفق من عينيك بطريقة صامتة، عبقرية جبارة تتخطى جميع الحدود. أحبتي، ماذا سأفعل، لا أحد انتبه إلى أنها «براءة طفولية حاملة»، ربّاه، كم هي عاشقة!

أولا أحبتي، بدأت حكايتنا مع الشّعْر في نفس السنة التي دخلت فيها إلى المدرسة، أي سنة 1999، من خلال حبيبي التي كانت لا تنفك تردد على مسامعي أبيات زهير ابن أبي سلمى والخنساء والمتنبي، وأعترف بأن الأمر لم يؤثر بشكل مباشر، لكن دون شك ساهم بطريقة لا شعورية.

أدركني الغرق في الرقصات الكونية، وصيف 2013 اتّقد شغفي بالشعر من خلال المعلّقات. سُحرت بها أيّما سحر وانتهيت في دروب خالية منشدا أبيات امرؤ القيس:

وليل كموج البحر مرخ سدوله	عليّ بأنواع الهموم لبيتلي
فقلْتُ له لما تمطى بصلبه	وأردف أعجازا وناء بكلّ كل
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلي	بصبحٍ وما الإصباح فيك بأمثل

وضعت كليا في معلقة طرفة ابن العبد:

لخولة أطلال ببرقة نهمد	تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
بروضة دعمي فأكناف حائل	ظلمت بها أبكي وأبكي إلى الغد

سُحرت بها، ابتداء من معلقة امرؤ القيس، وصولا إلى معلقة الحارث ابن حلزة، ودالية النابغة الذبياني، وصولا إلى قصيدة عبيد ابن الأبرص التي تعدّ من الجُمُهرات، مطولات أخرى منها عينية أبو ذؤيب الهذلي رحمه الله:

أمن المنون وريها تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع
قالت أميمة ما لجسمك شاحبا منذ ابتذلت ومثل مالك ينفع

مطلع 2014 بالتحديد، بدأت بنظم الشعر، مفتونا بأبيات أبو ذؤيب الهذلي رحمته الله
حين قال:

حتى كأني للحوادث مروة بصفا المشرق كل يوم تُقرع
لا بد من تلافٍ مُقيمٍ فانتظر أبأرض قومك أم بأخرى المضرع
ولقد أرى أنَّ البُكاء سفاهة ولسوف يُولع بالبكا من يفجع

في البداية لم يكن من السهل عليّ إتقان النظم بالبحور، لكنها سرعان ما انقادت لي،
وأواخر سنة 2014 راودتني فكرة التوقف. فجأة حدث أمر يحدث لمعظم العباقرة في
مرحلة ما، أمر قلب حياتي رأسا على عقب.

في واحدة من أشد النوبات رعبا وخطورة، كنت أتنصل من جنون العباقرة لأسقط في
خطر الإصابة بالذهان، كدت أنتهي في مستشفى المجانين. الحمد لله أن تلك المرحلة
تكللت بحادثة المرأة، ومن الملفت جدا أن فكرة الألفيّة الصوفية أتتني في تلك المرحلة
الجنونية.

شيئا فشيئا بدأت حالتي العقلية تستقرّ وسلسلة النوبات بدأت كثافتها تقلّ، ولما
عزمت على إرساء الفكرة، حدث ما يحدث لجميع العقلاء: أخافتني الفكرة!!
قلت: حاليا تنظم قصائد لا تتعدى العشرين بيتا، كيف ستنظم قصيدة من ألف بيت
بقافية واحدة، ماذا ستكتب في البيت 650، 700، كيف سيكون البيت 800، تناسق
بديع وترابط فريد وهذا يعني أنها ستكتب في فترة زمنية واحدة، إذ من الحماقة أن تُنظم

قصيدة ملحمية على مدار سنوات لأن شاعرية المرء ستختلف، هذا يعني أنه يجب على ذلك الصبي القابع داخلي الارتقاء إلى شاعرية متدفقة تتسم بانسيابية جارفة.

قلت: محبوبتي الأزلي، إنني غير قادر على استيعاب هذا الأمر، لكنني سأواصل الطريق.

سرت بخطي ثابتة، في صمت مطبق، متحلياً بصبر جميل، باحثاً عن شاعرية متدفقة تتميز بانسيابية جارفة.

بقيت أحاول وأسقط، أحاول وأسقط، لكن المحاولات لم تتوقف، الله تعالى وحده يعلم أنني أحرقت وحذفت مئات القصائد، آلاف من الأبيات في الفترة الممتدة من 2014 إلى 2021، تبقت بعض المخطوطات القديمة، أقرأها أحياناً فأبتسم وأقول: كم كنت أحمقاً!

بعد سبعة سنوات... منتصف 2021

منذ الصغر، وأنا مفتون بالأكوان اللامرئية، مشدوه إلى تناغم الرقصات الكونية، وبحلول سنة 2010 صرت تائهاً في عوالم جدّ معقدة. سنة 2012 اتقدت داخلي أزمة ثورية، لتنفجر عاطفة فكرية محمومة.

في واحدة من أعظم الرحلات إثارة وجنونا، تركيزاً وإرهاقاً، حدّة وعنفاً في تاريخ الفكر البشري، استنزاف تام لطاقة جنونية، نضال محموم تدفعه درجة ذكاء إعجازية، وتقوده عبقرية جنونية، تكّلت منتصف سنة 2020، باختراق الشفرة الكونية!

عند هذا المنعطف، وصلت عبقريتي المجنونة إلى مستويات خطيرة جداً، ولم أنتبه أبداً إلى أنني صرت مخترقاً من جميع الجهات، وكانت الرحلة لا تزال تحتاج إلى عمل رهيب جداً. حدث إيقاف قسري لجميع عوالمي الموازية، توقف الشعر، توقفت القصّة، ونقضت عهودي مع النساء.

اندفعت إلى آفاق لا يمكن تحملها، لتتدخل ديمتي الصغيرة في فترة جدّ حرجة، وقالت أنّ عليّ اغتنام الفرصة لجعل براعم وردتنا البديعة هذه تتفتح.

حاولت مجددا جعل براعم وردتنا هذه تتفتح، لكنني فشلت، أقولها بكلّ صدق، وقبل أن أغلق أبواب كهفي في وجه ديمتي، ألحّت على بلورة الجزء الثاني من القصة، حاولت التهرب من طلبها، وفي الأخير، أسرعت ببلورته في النصف الثاني من شهر مايو. وهنا تنبثق حقيقة أنّ العبقرية لا تتخطى القدر، لكن الدعاء يجعله يبتسم.

بسرعة الضوء، استأنفت رحلتي الأسطورية، واصلت الاندفاع في عمل رهيب ومكثف، في سعي جارف لانتزاع واحدة من أعظم الإنجازات، ولم أنتبه إلى أن جنون العباقرة لديّ تحوّل إلى حبّ العباقرة، فجأة انطلقت التحذيرات والإنذارات، توقف الآن، عد، ارجع، إيّاك والتفكير، بعد هذا لاشيء مسموح به.

شحذت رغبة ناريّة لتكثيف الكون في نقطة، وتجاوزت الحدود، فتمّ نسف عبقرتي كلياً، تمّ سحقها في ومضة قبل انتهاء شهر جوان لسنة 2021. لا إله إلا أنت يا ربّ، إنما هي كن فيكون.

من الصعب جدا أن أشرح ما حدث، وسأكتفي بقول أنّ «حبّ العباقرة» ثار داخلي، فجّر الكون بأسره داخل روحي، أحدث إفناءً لاشعوريا لعبقريتي الجبارة، وامتدّت الانفجارات إلى العالم الخارجي، انطبقت اللاهائية على بدئها، انهارت حياتي رسمياً، وانهار عالمي كلياً، الكون بأسره تأمر عليّ.

فجّرت كل شيء. عظمّ البلاء، والله تعالى يشهد أنّي ما عدت قادراً على تحريك مفاصلي في الخفاء، جثوت على الأرض، كلّ شيء أتايني دفعة واحدة، لا شيء استطعت الدفاع عنه، احترق كل شيء، خسرت كلّ شيء... لعدة مرّات وأنا أحاول النهوض

عبثاً، لم تتلقني ركبتي من هول البلاء، تأكلت من الداخل، تلاشيت، تجرّعت كؤوس الألم
قطرة بقطرة، ما أمرّها. باختصار، ذلك الصبي الساكن بداخلي رحل.
سنة 2021، شكّلت منعطفاً حاسماً في حياتي، اقتنعت فيها أنني لا شيء، لا شيء
البتّة، لا شيء على الإطلاق.

إن خرجتُ من سنة 2014 راسخاً من الخارج، مدمر كلياً من الداخل، أجزاء
متلاصقة من الخارج، كيان مفكك ومنهار كلياً من الداخل، أردد مطالع من قصيدة
النابعة الديباني:

كليني لهم يا أميمة ناصبٍ وليلٍ أقاسيه بطيء الكواكب
تطاول حتى قلت ليس بمنقض وليس الذي يرعى النجوم بآيب
فقد انتهت سنة 2021 مدفوناً في هوة سحيقة في الفراغ. عدت بذاكرتي إلى الوراء،
فرأيت ذلك الصبي وهو يجمع الأقحوان ويقول: سبحان الله، لا أفهم لماذا هذه الزهرة
الجميلة لها من الخارج أوراق بيضاء، ومن الداخل دوائر صفراء؟
فقلت لنفسي: رحماك يا الله، أنا اليوم زهرة أقحوان، أبيض تماماً من الخارج وأصفر
تماماً من الداخل، ما أشدّ هشاشة هذه الروح.
فجأة قال ذلك الصبي بنبرة تكاد تكون مخنوقة: إنّ الرحيق والشذا الفواح يتركز في
الجزء الأصفر من الأقحوان.

تابع: الفراشة تحطّ فوق الجزء الأصفر من الأقحوان. لا إله إلا أنت يا ربّ، أمهلني،
لكنني أصررتُ، سترتني بسترِكَ الجميل، لكنني ما استحييت، أشحت النظر عني، فما
بالي، بقيت نَحْلُم ونَحْلُم، فاغتررت، استحييتني، فتعدّيت، فاعفو يا إلهي، العفو
والصفح، حاشاك أن تكون قد خذلتني.

ناديتني سنينا وبقيت أنأى عنك، واليوم ليس لي سواك، أنا مجرم يا رب لا يحقّ له طلب المغفرة والرحمة لكن ليس لي سواك يا كريم.

اشتدّت حرارة الألم داخلي وكلّ شيء تسعّر، هذا الألم، ألم أم نار، أنفاسي هواء أم دخان، سبحانك يا قاهر، أنا عبدك، كلّ ذرة فيّ مقهورة، تلاشيت يا خالقي، فالعفو يا ربّ، العفو، العفو، العفو... سبحانك يا كبير، عبدك لا شيء، أنا في سكرات الموت بسبب شدة وطأة هذا الألم، لكن حين يقربني من الموت أشعر بسعادة لانهاية تخترقه. سبحانك يا ربّ، رضى نفسي من رضاك.

سبحانك يا ذا الجلال والإكرام، من سواك ينتشلي من بحر العذاب الهائج هذا، إلهي، إن لم يكن بك سخط عليّ فلا أبالي، لكن رحمتك أوسع لي، رحمتك وسعت كل شيء. سنة 2021، انكشف الغطاء، ضاق المدى الواسع، توسلت الله من أجل نفس واحد فقط. رأيت نفسي صغيرا وأنا أصنع سفنا ورقية، مولعا بطي الورق، اللعبة الشهيرة في اليابان والتي تعرف بالأوريغامي.

قلت: رحماك يا الله، فاليوم، أنا مجرد ورقة، طويت نفسي ملايين المرات، لم أستطع أن أشكل سفينة ورقية ولا طائرة ورقية للخروج من هذا البحر الهائج الذي تتقاذفني أمواجه من كلّ الجهات، جلّ ما استطعت تشكيّله هو ورقة مرتخية وتحمل ملايين الخطوط والائنات. بقيت أثّر في صمت: سبحانك، هل هذه نهايتي...

تقطّعتُ بسبب طيّ لمرات عديدة، تبعثرت. رجعت سنوات إلى الماضي، قلت: جفّ كل شيء داخلي، يوما ما، كنت روضة غناء واليوم صرت عبارة عن صحراء قاحلة، استنزفني كل شيء وانتهيت بطريقة قاسية، قاسية جدا، ولله الحمد ربّ العرش العظيم حمدا يليق بجلال وجهه الكريم.

قُبيل انتهاء سنة 2021

إلهي، كلّ شيء داخلي ميّت، وبقطرة رحمة واحدة ستحييني. أتوسّلك... أتوسّلك بحق المصطفى ﷺ. قبل انتهاء سنة 2021، ذلك الطفل الصغير الساكن داخلي رحل، رحل تاركاً كلّ شيء.

شيئاً فشيئاً وجدت نفسي في منطقة جبلية معزولة تماماً، بيئة ريفية هادئة جداً، لا ضجيج البتة، كلّ المناظر، والانفعالات، المحطات، الوقفات، واللحظات التي عشتها في حياتي، كانت إشارات، إشارات تقول أن كل شيء داخلي يذوب، يسهل!

يا الله، كلّ ما رآه قلبي بتّ أراه في وداعة الحملان، في سماحة الصخور الملقاة على جوانب الوديان، في انسيابية مياه الينابيع، وكلّ شيء يحلم باللعب مع الربيع، في قطرات المطر، وبتلات الزهر، في أقواس المطر، وتغاريذ البشر، في جريان الرياح والشذا الفواح، في لعب الأطفال، وابتساماتهم، في كل صبي أرفعه وأضمه إلى صدري، في كل صببة أرفعها وأحضنها بين ذراعي.

غرقت كلياً في تأمل روائع الطبيعة ورسومها البديعة، وربّ العرش، أحاديثها تناغمت مع أحاديث روحي، ربّاه ماذا سأفعل؟ لا حلّ لي سوى الدعاء.

سبحانك يا ربّ، الهمسات التي سمعها قلبي، بتّ أسمعها بوضوح في صياح الديكة، في ثغاء الحملان وهي ترعى العشب على ضفاف الوديان، في زقزقة العصافير، والوشوشة لدى هجرة الزراير...

وهناك، هناك في خضرة تلك الحقول، وامتداد تلك السهول، كلّمتني عيون الحملان والعُجول!. قلت لنفسي: هل هناك من هو أكثر وداعة من الحمل الوديع، سبحانك يا الله، إن الحمل وديع بكل طريقة!

تسامحتُ مع كل شيء، حتى ألّيتُ عقدتُ خنصر يدي اليمنى بخنصر كل شيء قائلاً:
سنتسامح للأبد، أعدك. الكون بأسره صار يقرأ بصوت عالٍ ما كان مكتوباً فوق
صفحات قلبي، وصرت أنصت له فقط.

انتهيت بكلّ طريقة. تالّأت هدنة حزينة، خلف كلّ شيء خطّته يد الله، حكمة
عظيمة. اليوم، لدي فرشاة، وثلاثة ألوان، حب نقيّ طاهر، أمل وضّاء، ألم عنيف وقاسٍ
جداً، كافية لرسم لوحة بديعة لم يرسمها أحد قبلي!

في ومضة خاطفة، فهمت أن فكرة نظم بردة ألفية والتي أُنّيتي أواخر سنة 2014،
كانت عبارة عن فراشة بديعة، حطّت اليوم فوق صفحات الروح من جديد. قلت
لنفسي: كل الانفعالات، المحطات، الوقفات، واللحظات التي عشتها، عبارة عن
إشارات، أجل، ضلوعي كسرت، طوفان من الآلام اكتسحني، اقتلعتني واجتثّني، غير
معالي، محاني، واليوم سأفجّر شاعريّتي، سأفجّرهما.

سبحانك يا عظيم، أنا هكذا، لا أستسلم بسهولة، وتكفيني إشارة خافتة منك
لأحرق العالم بأسره.

إلهي كن معي، الألوان لا تنفع دون إيمان مطلق بتوفيقك. اللهم بحبّ النبيّ الأميّ
القرشيّ الهاشميّ العربيّ التهاميّ المكيّ المدنيّ أتوسّل إليك، كن معي يا ربّ، لا إله إلا
أنت، اللهم بحقّ عشاق المجتبيّ كن معي. سمّيت بسم الله، وتوكّلت على الله.

وبهذا أزهرت براعم هذه الوردة أواخر سنة 2021، تجسّدت في فترة قصيرة، وبذلت
جهداً جباراً في تنقيحها، لتصدر في النصف الثاني لسنة 2023، معتقداً أنّها صدرت في
أجمل حلّة، لكنني لا أنفك أرتكب أخطاء عفوية، والعباقرة عباقرة لأنهم لا
يستحيون أبداً من فضح عبقريتهم!

نهاية سنة 2023

ذات ليلة، وخلال رؤيا إشرافية ببركة سيدنا مُحَمَّد ﷺ، اكتشفت أنني جسدت الفضاءات التي بُنيت عليها بردتنا، لكنني أخطأت في هندستها.
لن أعزو الأمر إلى شتات ذهني حادّ، أعتقد أنني كنت متسرعا. صحيح أنني دعوت الله تعالى بقلب صادق، لكن قد تكون انسلت رغبة لاشعورية بالنشر الأوّلي.
بتّ أحمد الله تعالى صباح مساء أن تلك الطبعة مُنيت بفشل ذريع، اختفت بسرعة وفي صمت، ثمّ شرعت في تمديد الفضاءات حتى أستطيع تملّيس التفردات!

نهاية شهر نوفمبر لسنة 2025

إذن أحبتي، واصلنا الاعتكاف على تزيين وتلوين بردتنا، وبدأت تنزع نحو آفاق لانهائية. ما إن لامست لانهايتها حتى ذبلت معشوقتي نهاية شهر نوفمبر لسنة 2025، فرحت أحاول إحياءها.
عبقريّتي الجبارة كانت تُحتضر، بقيتُ أستميت لألا تغادر، ولم أنتبه إلى أن الصورة اللانهائية التي كانت تعديني بها بردتنا كانت إعلانا عن استعدادي لتقديم أعظم هدية حزتها في حياتي.
معشوقتي كانت تكره الكون الصغير، طالما أنني أغرقتها في سحر الأكوان العظيمة، لكنني أغريتها ببساطته ولو أنه صغير، لأتمكن من أخذها إلى المراكز الطبية والمستشفيات.
في الحقل العلمي، تعجّبي المفارقات، نظريا ممكنة، واقعا مستحيلة، لكنني بشر أحبتي، لم أرتح للمفارقة التي كنت أحيائها: معشوقتي ذابلة، والتحاليل والكشوفات الطبية تقول أنها في صحة وعافية.

سبحانك أيا محبوبي الأزلي، سبحانك ما صنعت بي حتى أعشقتك بجنون أخترق
لأنهائيته. اشتد التفتح الروحي لوردتي، فحاولت أن أغض الطرف عن ذبولها، وصبيحة
الرابع والعشرين من جانفي لسنة 2026 حلقت روح معشوقتي إلى بارئها، بكل هدوء
وسكينة، بكلّ سماحة واطمئنان، سبحانك يا الله، كيف طارت يا الله.

محبوبي الأزلي، أواخر 1999، رحل جدي لأمي، فلم أستوعب ماهيتي، منتصف
2001، رحلت جدتي لأمي، فتلاشى معنى وجودي، سنة 2021 اختفى قمري الحبيب،
في الـ 24 من جويلية لسنة 2021 احترقت شمسي الساطعة ونجت بمنة إلهية عظيمة،
لكنها اختفت اليوم، أما والدي، فقد احترق ورحل في الثلاثين من جويلية.

سنة 2021 تمت تسويتي بالأرض. ابتسمت، وبهذا أزهرت براعم هذه الوردة البديعة.
والذي نفسي بيده، اليوم خرس عبقريتي، فقد رحلت بركتي، غادرت مجرتي، شموسها
وأقمارها ونجومها انطفأت بطريقة مدمرة. هذه المرة يا ربّ، قمت ناظرا إليك، ضحكت،
ثم سجدت قائلا أنك عظيم وأعظم، سبحانك يا من شرحت روحي بفيض عشقتك.
محبوبي الأزلي، أيّ ابتسامة رسمتها على شفاه حبيبي والكفن قد لقّها، محبوبي الأزلي،
لما غادرتها الروح، كيف تجلت حبيبي مثل حمامة بيضاء وديعة قد التحقت بآخرتها،
محبوبي الأزلي، كما بيّضتها ونورتها في مماتها، نورها يوم تلقاك. وأن لي أن أتمثل في هذا
المقام بيت لبيد ابن ربيعة رحمته الله:

ذهب الذين يُعاش في أكنافهم وبقيتُ في خلفٍ كجلد الأجر

أي محبوبي الأزلي، أنت وحدك لا شريك لك من يملكني، افعل بي ما شئت، لأني
أريد أن أبجلك وأقدسك وأعبدك وأعظمك كما بجلك وقُدسك وعبدك وعظمك سيدنا
وحبيبنا مُحَمَّد صلّى الله عليه وآله. أنا حقير يا ربّ، لن أستطيع ذلك، فدعني أحيأ بعشقتك وعشقه.

رحل الأحبة كلهم، وأعتقد أن هذه الوردة، اكتملت ألوانها، سالت عطورها وارتقى شذاها. انتهيت ولم تبقى لي أية بقية، يا لها من نعمة.

تم التشريد بعبريتي، صرت ضحكة في الوجود، أسأل الكون بأسره عنك. تتردد إجابات: من هنا، من هناك، لا عد إلى هناك، الكون يضحك، وأنا أركض كالجنون، أبحث عنك كالجنون، في جميع الاتجاهات، تائه في كل مكان، لا إله إلا أنت يا رب.

آه مدلّتي، رسمتك أمنية وتركتني أغني في الأحلام. رحلت مدلّلة حوريتي، رزيقتي، بديعتي، وديعتي، براءتي، صغيرتي، دميتي، وردتي، نجمتي، مجرّتي، غاليّتي، أمنيّتي، مدلّتي، محبوبتي، حبّيتي، معشوقتي، عبرتي، فرحتي، دمعتي، ضحكتي، ألمي، بسمتي، سعادتي، نبضتي، نسمتي، رفيقتي، بدايتي، نهايتي، حكايتي، رحلتي، بساطتي، بركتي، نعمتي، بقيّتي، سكينتي... أريد الانفجار، بغض النظر عن الدمار.

أحبّتي، بعد ولادتي بأشهر، مرضت معشوقتي، فعهدت بي إلى جدي وجدتي. بعد أن رحل جدي، ومن ثم جدتي، التحقت بوالدي. جاهدت حتى أستوعب أنهما والدي، وأنّ أحبّ شخصين إلى قلبي هما جدي وجدتي لأمي. لما استيقظت بعبريتي، فهمت أنني أنا وأمي ترعرعنا في كنف رجل واحد فقط، وامرأة واحدة فقط. بمعنى آخر، أُمّي كانت بطريقة ما أختي الفوق فائقة، كنا نحقق تناظرا فائقا!

الآن ما الذي جعل من العاطفة التي تربط بين رابع، حورية، رزيقة، ويحيى سرا كونيا غامضا!. أخلاقيا، أنا نسخة طبق الأصل عن جدي، في حياتي كتجسيد لأكثر عبقرى مجنون، حوريتي ستبقى الشخصية الأكثر أسطورية، لأنها بلورت عبقرتي المجنونة في طفولتي، وفي حياتي كتجسيد لبراءة طفولية حاملة، رزيقتي ستبقى الشخصية الأكثر أسطورية لأنها بلورت براءتي الطفولية في بلوغي.

حتى ذلك الوقت، كنت ما أزال مترددا حول ما إذا حان الوقت فعلا للكشف عن الصورة الختامية لوردتنا البديعة لتتفتح وتتضوع جاذبة إليها فراشة من هنا وفراشة من هناك. دعوت وتوسلت الله مرة تلو مرة، كنت أحتاج إلى إشارة سماوية تشرق قائلة: أجل. كنت أتوقع إشارة تعيدني إلى الزمن الذي بدأت منه، أواخر 2014 أين لمعت هذه الفكرة، أو أواخر 2021 حين تجسدت، لكن ما حدث كان أعظم. بعد كل ذلك الدمار الروحي العنيف، والدمار العظيم الذي حلّ بي وجعلني أتلاشى والله الحمد، جُبرت في لحظة، ألا إنما هي كن فيكون. ما حدث، أعادني إلى بداية كانت معجزة.

سبق وأعلنا أحبتي كيف بدأت حكايتي مع الشعر، لاشعوريا من خلال معشوقتي رحمها الله، ثم سحر المعلقات، ومن ثم أنت هذه الفكرة أواخر سنة 2014. كانت هذه هي الفصول الرئيسية في مسيرتي الشعرية، وبينما كنت أدعو وأدعو الله سبحانه وتعالى من أجل رفع الحجاب عن هذه الوردة من خلال إشارة ما، حتى اكتشفت شيئا شكل سرّا ولغزا كونيا غامضا.

أمر جعلني أهوي على الأرض مردّدا: بحق لا إله إلا أنت ما الذي تفعله بي؟ أهكذا يفعل المعشوق بعاشقه؟ أنا أيا معشوقي انتهيت فيك بكلّ طريقة، لكن ما كان عليك أن تنهيني بهذه الطريقة. عكس الأمر معجزة ربانية خارقة، وعناية إلهية فائقة، سطر حقيقة أنه لا فضل لي، البتة، على الإطلاق، الفضل كله لله. أمر رفع الستار عن السر القابع خلف أعنف عبقرية شهدها التاريخ!

وسط مجموعة قديمة من الصور، وقعت بين يديّ صورة، من المرجح أنّ والدي هو من التقطها لي. تعود الصورة إلى الشهور الأولى لسنة 1994، أين كنت أبلغ من العمر بضعة أشهر فقط، قبل أن أعهد إلى جدي وجدتي لأمي:



قلت: أيها العاشق المجنون، جذبك أحمد من أول نظرة، حبوا، صلى عليك الله وسلم
أيا أحمدي أيا مُحمّدي، ها أحبتي، اتضح كل شيء، كل شيء بدأ من هناك، ببركته ﷺ،
ذلك الطفل الصغير هو أعنف عبقرية شهدها البشر!
والذي نفسي بيده، حياتي كلها شوق، ربّاه أنا راجع إليك في كل نفس، رجوع
العاشق إلى معشوقه، فحين أيا معشوقي اللقاء.
الآن، صرْتُ متأكدا بأنّ ذلك الطفل الصغير الساكن داخلك أنت، وتلك الطفلة
الصغيرة الساكنة داخلك أنتِ، لديهما قصّة أجمل بكثير، حاولوا فقط اكتشافهما.
والآن أيا أحمدنا أيا مُحمّدا، هذه الحكاية صارت جديرة بأن تُروى، هذه البردة ستبقى
شاهدة على فنائنا. بسم الله، توكلنا على الله.

التصوّف هو حكاية الروح العاشقة، الروح التي شهدت فطرتها الأولى فتحرّكت شوقاً، تركت كل شيء لتعود إلى المعشوق. في طريقها إلى الله، تمر بعدة منازل، نار عشقها تفجر الشمس، تذيب القمر، تخترق الكواكب والمجرات... تخترق السموات والعرش... أحياناً تسرع وتندفق، بسبب قوة العشق وصبوة الانجذاب، أحياناً تبطئ بسبب الإشراقات فيستغرقها عالم الملكوت وتبقى مشدوّهة إلى الأسرار المختومة، أحياناً لا تتحمل قواها الأنوار الملكوتية فتثور ثوراناً هائلاً داخل الجسد وتحاول التحرر من الجسد بأي طريقة لتسقط في جثة الجسد مستزفة كل وعي، أحياناً تفرح، أحياناً تتألم بشدة لكنها تتلذذ بصبوة الألم... علامة الوصول هي أن ترى الروح «حقيقة» أن لا شيء موجود إلا الله، وأن تسمع «حقيقة» أن كل شيء في الكون يقول سبحانك يا الله... سبحانك يا الله... فتصل إلى الفناء... لا يوجد شيء سوى الله... لا شيء سوى الله... كل شيء عدم، إلا الله... أنا نفسي لست موجوداً لأنه لا وجود إلا لله... الخلق كله عدم لأنه لا وجود إلا لله...

الروح تفكر والعقل يصمت في حضرتها لأنها تكشف، الروح تشعر والقلب في حضرتها يصمت لأنها تجسد، الروح تتذوق وتشم وتلمس وترى وتسمع، لكن في مستواها كلّ شيء مختلف، فعلى السالك أولاً أن يذكر ربه بكل جوارحه لينسى نفسه، ثم ينقي قلبه ويطهره ليسلم أمره، ثم يحرر عقله ليبقى وحده، وفي الحلوات تبدأ الروح تتحدث داخله، ومع المجاهدة والاستمرار يتعلم لغة الروح. أخيراً، تبقى هناك الكثير من الأمور التي لا يمكن إلا للروح العارفة إدراكها، إذ يجب أن لا نكشف عن الأسرار إلا لمن يستحقها، والآلئ الصوفية ستسقط في أيادي الجديرين بها، إذا حاول المرء الغير جدير الحصول على الآلئنا، ستبتلعها متهاتنا...

المقام الأول: «الله»

الأسرار العرفانية للطائفة الصوفية

جاء في موطأ الإمام مالك رضي الله عنه - باب الجنائز - الحديث 30: «حدثني عن مالك، عن يحيى ابن سعيد، أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: رأيت ثلاثة أقمار سقطن في حجرني (حجرتي) فقصصت رؤيائي على أبي بكر الصديق. قالت فلما توفي رسول الله ﷺ ودفن في بيتها. قال لها أبو بكر: هذا أحد أقمارك، وهو خيرها».

باسمك أيا خالقي أنحر دما قلبي	روحي تُفَجِّرُ وحيًا سطره بدمي
ربّاه روحي انتهت ما عدتُ محتملا	آلام عشقي مضى الميثاق ذا الكرم
سلمتُ نحري على محرابِ عشقك كي	تُفلّك على القبة الخضراء شمس فمي
سلمتُ روحي وإبراهيم في أثري	في أرض فاران ³ تلّ الروح في ضمّ
ناشدته الله إسماعيل ليس أنا	إني ذبيح لطفه سرّ إلى الحرم
لما هويتُ إلى ساعير ⁴ أدركني	عيسى حلفتُ يمينَ الله ملء فمي
لستُ الحواريّ إليّ سورةٌ نُسختُ	راحت تجسّد بكوني آية القلم

³ فاران: جبال مكة التي أرسل الله منها سيدنا مُحَمَّد ﷺ، وهي الأرض التي ترك فيها سيدنا

ابراهيم عليه الصلاة والسلام هاجر واسماعيل عليه السلام.

⁴ ساعير: جبل ببيت المقدس ومنه بعث الله سيدنا عيسى عليه الصلاة والسلام.

طوفان نوح أتى عشقي بصورته
أخجلت يوسف يا مشكاة بردتنا
في منبر العشق أهوي طه يدركني
إن قطعت نسوة المدينة اليد قل
عشقي أباد زليخا قد طغى ومضى
أفديك كيف تُسلم نفس مجتري
حكاية العشق تياراتها استعرت
صاحت بي الروح قم، واسرد حكايته
جسد بأوراق دنيانا عواصفه
يا ورد غصني أيا نوراً يباركني
لكن ألحّت لأن تجري كواكبها:
لما هممت أخذت العهد من يدها:
ثم احتسيت بحار الخمر في نفس
سكران رحلت أرتل آيه، ثم
يا بردة بت أحكيها وتشربها

إلا أراك أو الأكوأ لا تقم
قد ظلت أشكو هواك في دعاء فمي
بارك مداري بيد طاف بالحرم
جنّ الفتى واستباح الروح في الحرم
أهوي ببابك أذوي لا ولا أقم
دعني أسلم من الاعتبار لا تلم
جبريل أوحى كؤوس العشق كالحم
العشق ثار ليدي بردة الحلم
رتله، قم رصع الوجدان بالكلم
إني أموت شهيد العشق لا تلمي
سر بي على فلك الوهّان من قدم
إن مت لا تفش عشقي يا أمان فمي
قد أشرق الحرف في الألواح وابتسم
من البدايات لم أطرف ولم أنم
روحي قرأتا: فضحت العشق ملء فمي

أَيُّ رَبِّ أَيُّ هَوًى أودَعَتْهُ جَسدي	حتى هوى طور سيناء على كلمي
أهفو الوصال فكم تبقى تعذبي	في البعد مصدوقة الوداد لم تنم
يا تَئيم رُوحِي لقد أختيتني فإذا	ألقاك لن ترني إلا خيال عمي
أَلقيتُ رُوحِي إلى الآيات بعدُ بدا	في بادئي سحرٌ من لاقوا كلِّيم فم
قد أوجس القلب خيفةً أيا سندي	لما تجلّى ملاك الروح قرب فمي
إن كان سحرا فموسى سوف يبطله	لا ليس سحرا، عصا موسى بدت قلمي
ناديت سبحان ربي واحدي أحدي	قد عُذت بالله إن تقواك مسّ دمي
طمئنْ فؤادي: قضى ربّك لأنْ أهبكُ	سلطان عشقٍ يدير البدر في القلم
كَبَرْتُ الله أكبر: صُور موسى نُفُخْ	خلعتُ طيني ومائي مُلتقٍ حلمي
رأسِي حجرٌ وعصا موسى ستفلقهُ	ثنتي وعشرة طودا هاج في النُظم
الروح فاضت إلى الوادي المبارك قد	آنستُ وحيّاً بلا لفظٍ ولا نغم
في ناره احترقت رُوحِي وقد طُمست	أوتاد قلبي تهاوت قبل أن تُقم
لما استويْتُ إلى الميقات قد صعقت	طيني لتندك رُوحِي طورها عدمي
سـبـحـان ربي أراني سـاجدا وأرى	فيض التجلي يضيء الروح في النظم
لما الخليل من الأطيّار أربعة	سوّى بإذن إلهي حلّقت تقم

إني نُشرت طُوى، ألواح بردتنا
 يا روحُ يا بليلي المسجونُ في قفصٍ
 هذي حكاية مجنونٍ يموت هوى
 في روضتكُ قد دفنتُ السرَّ فاحترسي
 عشتِ اشتياقا يُذيبُ القلبَ حارِسةً
 أنتِ التي تحفظينَ السرَّ تنتظري
 يا روح فالتمسي نور الهوى ودعي
 لما توارى وجودي وأنبري عَدَمي
 واخبيتهاه فعشّاقٌ مواكبهم
 القبر نادى، صدى العشّاقِ في نُزلي:
 يا أيُّ هذا العاشق المجنون غنّ لنا
 نظرتُ روحي فغضّت طرفها، أسفت
 إني استمحتُ من العشّاقِ معذرةً:
 في طهر واد مقدّسٍ عانقت كلمي
 للطين ها قد تورّد الهوى بدمي
 العشقُ خزّبه والجذبُ عاش حمي
 لا تفضحيني بيت الشعر والكلم
 مأمونةً السرّ تُلقي الحُزن في الرّجَم⁵
 أن تشرقي بفناءٍ يقتبسُ عَدَمي
 سرّي يموت معي في جنّة العدم
 مرآة روحي أضاءتُ مسجد القلم
 قربي تريد لتنسُخُ برودة الختم
 أغدقُ تصوّفنا بالشعر والكلم
 دع بلبل العشق مذبوحا بذِي سَلَم⁶
 لم تستطع كبتَ ثغري يتّصلُ بدمي
 إني أموت على نُحر الهوى العرم

⁵ الرجم: بفتح الراء: القبر.

⁶ ذي سلم: موقع بين مكة والمدينة المنورة.

إني أَلْبِي: وُجودي بالسهم رُمي
القبر مثواي والعشاق لم تنم
فاضت دموعُ شموعٍ قَبَلْتُ كلمي
النحر أصغرُ، شذا الأكبر يبيح دمي
فيها اختبأنا وهذا السرّ ينكتم
قد راح يسحقُ والحُجّاج تبتسم
كاللوتسِ العائم استرعى الندى ابتسم
عيدي فناءً مباركُ فاكثمي كلمي
سَلَّمْتُ فانحَرَّ وجودي مُعْتَقاً قلمي
من بدئنا يتخبّطُ في مجمر الكلم
روحي إلى العرش: ضخت فورة الكلم
صِدْقَ الخفيِّ لأحيا لحظة الختم
ما تَمَّ حَجِّي وعيدُ العشاق هَدْيُ فمي
سبحان من دام بالبقاء والقَدَم

العشقُ يسطعُ أيقظُ ساعتي سحرا
قم بي إلى حضرة الصلاة يا وَلَهِي
يا روحُ قد أَرَفْتُ في الوقت ساعتنا
لم يُدفنِ القلم المذبوح فاتحةً:
آذانه قام والروح انتهت عرفه
أَفشى الحجيحُ النُّسكُ والعشق يسحبي
العشق يحملُ فانوسي بصورته
بوركتِ روحي بعشقي بَتْ أَصْحِيَّةُ
العشقُ أَقْبَلَ والسكين في يده
إذ أنَّ روحي قد اسْتَرْقَتْهُ حين دُبَح
فوق الوريد تغنى خنجرة فسمت
سَبَّحْتُ: هذا ربيع العشاق مختبرا
ربّاه أمسيت منحورا بمزدلَقَه
العشق يمحي وجودي وارتحل زمني

طوفان عشقي ارتقى الجودي⁷ أغرقني
العشق نادى فنائي وانتهيتُ بلا
صلصالٌ روحي تصلَّب في رؤى قلبي
لما انتهى أجلي أُورِدْتُ في جدثٍ
لا تبحثوا عن مزارى قبتي انخسفت
أيُّ بارئٍ رَفَضَ العشْقُ الطلبَ ومضى
من شاهدي فانمحت أطلال قافلتني
راحت تبوح بأسراري تفجرها
في العيش أخفيتهُ واليوم ما حيلي
الروح قد سردت عشقي وقصتنا
لما التقت تربة بالروح واختلطت
من رتب الصفحات العشْقَ أيقظه
لما سَقَّت قطرات العشْقَ أجنحتني

محا وجودي لأفقد في شُهودِ دمي
اسم، خيالي انمحي، لا شيء في عدم
يا ربِّ فاغفر، إلهي أنت ذو كرم
تمت شعائهم والروح في الرّجم
أرضٌ قد ابتلعت قبري بها التّم
أيُّ مؤنسي قلبي في الرّق بات دمي
والروح راحت تخطُّ العشْقَ بالقلم
ربّاه قد فضحت عشقي بكلِّ فم
من حفرة اللحد مفضوحٌ على العلم
صارت تفاصيل عشقٍ ليس ينكم
أوراق عشقٍ نسينا العشْقَ في العدم
من لم يرتب سوى دنياه لم يقم
فاضت بحاري: طلوع الروح في الحرم

⁷ الجودي: جبل الجودي، وهو الجبل الذي رست عليه سفينة سيدنا نوح عليه الصلاة والسلام.

روحي بحبِّ سماويٍّ بكلِّ سمي
عشقي تَهَلَّلْ وأكفاني فدت كلمي
في مسجد الكون أوحاها فَنَاءَ فمي
طه وتَجَثَّوْ تقبَّلْ موضع القدم
سبحان ربي: أضاءت طيبةُ الكرم
مذ ذاك صوتي يصليُّ في المدى العمم
معراج روحٍ إلى رضاك ملء فمي
في الوقت أزمنتني واليومُ ليس يَمِي
إلا هَوَاكَ يَحْرِّكُ أحرفا بدمي
لم أهتدِ الوصف فالأسرار من قدم
روحي يضيء معانيها صدى كلمي
لما وجودي انكسف ولدتُ من عدم
حرفي تكَلَّمْ بمدح السرِّ فاستلم
من فورة التوق أقصدُ شُهدةَ العدم

ضَيَّعت عقلي تلاشى الوعي قد سَكِرْتَ
أحيا بنار الهوى، أُحرق بفيض الهوا
ربَّاه قد صار عشقي آيةً تُليْتَ
روحي رنث روضته طَوَّافة بسما
يا تربة المحتجبى أنت السماء لنا
أقطعُ لساني، ابتلعت الكون ألسنةً
يا ربِّ فاجعل صلاةَ العشق نبع ضيا
منذ استباح الهوى عيشي أرى اختلطت
مُذْ همت بك، صرْتُ مشلولاً وما عملي
قد طفت عالم أرواح كذا جسدٍ
زيتي احترق في أراضِي الطيب وابتهلْت
حين انخسف جسدي أشرق هنا ولهي
واسَّاقط البدر أنوارا على جسدي
أسقيتني من شراب الحقِّ منتشيا

فِينِيقٌ ⁸ عَشِقٌ أَحْرَقَ كُلَّ أَشْرَعَتِي	أَغْرَقَ وَإِنْ لَهَيْبَ الْعَشِقِ يَضْطَرُّ ⁹
سَبْحَانَ رَبِّي وَكَيْفَ الرُّوحُ تَسْكُرُ فِي	حَرِّ الْغَرَامِ فَتَجْلُو الْوَعْيَ مِنْ أُمِّ ¹⁰
يَا سَيِّدِي خَذْ بِأَيْدِي الرُّوحِ: خَافَقَةُ	مِنْ صَفْوَةِ الْكَأْسِ، رُؤْيَاهَا تَضِيءُ فَمِي
يَا كَوَكَبَ الْقُبَّةِ الْخَضِرَاءِ تَسْكُنُنَا	بَارَكَ إِلَهِي الَّذِي يَسْكُنُ هُنَا بَدْمِي
بَارَكَ صَاحِبَتَهُ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ	بَارَكَ إِلَهِي رِيَاضِ الْحَبِّ وَالْحَلَمِ
بَارَكَ إِلَهِي بِجَاهِ الْمَصْطَفَى وَطَنَا	يَفْدِي الْحَبِيبَ تَغْنِي مُهْدِيَا كَلَمِي
إِذْ شَمْسٌ حَسَانٌ مِنْ شَقَّتْ لَنَا وَهَجَا	وَمِنْ هَوَى الْأَوْلِيَاءِ الْحَرْفِ لَمْ يَنْمِ
يَا شَمْسَ بَوْصِيرَ لَا تَنْفَكُ تُسْهِدُنَا	مِنْ بَرْقِكَ السَّاطِعِ الْمَشْهُودِ فِي إِضْمٍ ¹¹
نَقْصِدُ مَزَارَاتِ عَشِقٍ نَلْتَمِسُ وَنَذُقُ	مِنْهَا نَدَى بَرَكَاتِ النُّورِ وَالْكَرَمِ

⁸ الفِينِيقُ أو العنقاء: طائر لم يبق في أيدي الناس من صفتها غير اسمها، ويقال سَمَّيت بالعنقاء لبياض في عنقها كالطَّوق.

⁹ يقال اضطربت النار: إذا اشتد اتقادها.

¹⁰ والأُمُّ بفتح الألف تعني القرب

¹¹ السَّهَاد: العَاس، وإِضْم: واد دون المدينة.

المقام الثاني: «نور السماوات والأرض»

الحروف الياقوتية للأنوار المحمدية

جاء في صحيح البخاري باب صفة النبي ﷺ - الحديث 3542: حدثنا أبو عاصم عن عمر بن سعيد بن أبي حسين عن ابن أبي مليكة عن عقبة بن الحارث قال: «صلى أبو بكر رضي الله عنه العصر ثم خرج يمشي، فرأى الحسن يلعب مع الصبيان، فحمله على عاتقه وقال: بأبي شبيه بالنبي، لا شبيه بعلي، وعليّ يضحك».

اليوم صيرنا الطوفان في العدم	حُبِّكَ أيا أحمديّ النور والنعم
الحرفُ كان بياضا يقتفي قلبي	في سالف العصر ميلادي التقى وهي
أوراق روعي بوصفِ النور في النظم	لما ولدَتْ تجلّى الحرف واتّقدت
لو يتدبّر هيجان الروح في الظلم	خذْ صوريّ ودع المعنى ليكتبني
كأس الهوى، لا زجاجات الجسد ودمي	أنحر ولا أتحبّط فالفداء قدح
تأتي لآلى حَبِّكَ ترتقي نظمي	أحبي الوجود بعشقٍ فاض مستعرا
والأرض قد أحرمت بالنور في الديم ¹²	ألقي رسائل فيها الأمنيات نمت
أخلو من الطين: تجري الروح في القلم	في خلوة أشرقَت أسرار عاطفتي

¹² الديم: جمع ديمة وهي مطر يدوم أياما في سكون.

الروح ليست هنا ليست هناك ولا	في الأرض أو في السما: في حضرةٍ تقم
بالواحد اعتلقت والقلب معتمرٌ	فيض التراتيل بالآيات ينسجم
يا بلبل الحانة اعجل فتق خمرتنا	هذا الهوى نشوةٌ للوعي لم نصم
الناس صامتٌ ونحن الدهر نُفطره	قام الأذان: أذان العشق من قدم
الناس تعتكف العشر الأواخر من	شهرٍ رنا ليلةَ القدرِ التي تُرم
نحن اعتكفنا على كأسٍ تفيض مددٌ	إذ رشفةٌ تُسكرُ الأكوان في الخيم
الناس تغرُّ نُسك الحج واعتمرت	ميقانتنا لم يحن، بحانةٍ نقم
إنا لحجَّاجها، عُمارها فنيّت	أرواحنا ورحيقُ العشق يُعتصم
الناس قامت وإنا ساجدون هنا	إنا الشُّهود بِوادي حضرةٍ تقم
حاناتنا في سماوات الهوى ألقت	فقط نديمٌ وكأسٌ فيضها يذم
سبحان ربي حجيجُ الروح ظل هنا	في كعبة القلب أدّى منسك الحرم
دوما يطوف يسبح ساعيا ولها	في منزل الفلك الساري سيرتسم
قرب الصفا قد سرى ثم اهتدى حرما	في مروة القلب عرج من رؤى الشيم
طاف الحجيج وإن الكأس كعبتنا	العشق يستغرقُ الأنفاس لا تقم
لما جرى في عروق الروح ماء حيا	متنا لنحيا بأيّ الفتح في العدم

لما سرى الماء في أجسادنا انعقدت	أوصالنا من ضياء الشوق في الحرم
الطين تزهّر من غيثٍ يُيلّ شذا	يطفأ لظى الحمأ المسنونٍ يحتدم
نحيا بموتٍ هنا نحيا هناك دُررُ	إنا سكارى، شراب العشق يحتكم
نُسقى شراباً طهوراً فالوجود أرقُ	العشق ترياقنا والفتح للعدم
إنا ظمايا لتلك الكأس قطرتها	فاضت كأمنيةٍ في القلب لا تنم
الطين هذه كم يهتاج برعمها	من ظلمة الجسد الفاني لتستقم
إنا اليراعات والأجواء تنثرنا	حول المخامر نشري درهم القلم
في دورة العشق إنّا ناثرون هنا	من كفّ حُبّ بذور الروح في الظلم
صرنا حبيبات قمحٍ في حقول ذرى	صرنا نسيم صبا ¹³ في صبوة الحرم
في كل وقتٍ غليلُ العشق يشطرنا	نبقى شذورا تهافت في بحار دم
يا ليتنا كبشُ إبراهيم روح فدى	في دربٍ جيدٍ لإسماعيل نزدحم
سبحان ربّي وهذا العشق أسهرنا	محرابُ داوود نادانا لنعتزم

¹³ الصَّبَا: الريح الشرقية، سميت صبا لأنها تقابل بهبوبها باب الكعبة وكأنها تصبو إليها. جاء في صحيح البخاري: عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: «نُصرت بالصَّبَا، وأهلكك عاد بالدَّبور». الحديث 4105.

لو فاءت الطين وادي النملِ قد أَلَقْتَ
 إن غلّةً فسليمانُ يباركها
 أنحضُ ربيعاً محلّ قبل منسكه
 إن الكيان تأكل في سنا صُورِ
 في روضة العشق قبّلنا سلاسلنا
 نبني الفخاخ لنا نصطاد أنفسنا
 لو أن قطرة داوود ستصهرنا
 يا ليتنا هدهد في ظلّ مملكة
 بتُ القواريرِ نارُ العشق تفتّقني
 لو طاف سيفُ سليمانٍ بحلقنا
 لسنا أفاعٍ، خيوطٌ وهي باليةٌ
 كانوا احتسوا جامَ عشقٍ إذ صفت وروّت
 سلّم بأنّ عصا موسى تلقّقنا
 من بسمّةٍ لسليمانٍ تنير دمي
 أنسلُّ في شريان الكون أرتسم
 قد ساق هدياً ليفدي الروح في القلم
 فالعاشقُ المنذبحُ يذوي بكلِّ دم
 إذ هي ودادٌ تقِيّ ليس ينفصم
 نعقدُ غُرى شَرِكٍ والروح تبسم
 تصقلُ وتُلهبُ مرايا الروح في الظلم
 يشرحُ دمانا سليمانُ بكلِّ حمي
 روحاً ممرّدةً: ¹⁴ بلقيسُ فابتسمي
 إذ يمسحُ السُّوق والأعناق بالذمم
 لو قد رمتنا يدٌ من ساحرٍ صُدم
 خرُّوا بها سجّداً لله ذي الكرم
 كان الخلاصُ وكان السكر للأدم

¹⁴ القوارير: الزجاج، والممرّد: الأملس.

في جَدول الحلق طوفانا يبيد ظمي
ترسو بأرواحنا في روضة العدم
حيّ المواتِ فإنَّ الطين تبتسم
ألف السنين سوى خمسين تنصرم
من أيّ كأس شرب، بالله أيّ دم
قل أيّ خمرٍ تَنَزَّلُ ساعة الألم
لما انتهى يونسُ في هُوّة الظلم
أيوب وهُو في سموم الداء والسقم
يعقوب في حرقه لم تُلقَ في الرجم
يا شمس كنعانَ أفضِ السرَّ قُدّ دمي
من أين أَلَقْتُ وفي السجن ارتقت تقم
أرواحنا في تباشير الرؤى تهم
موسى وفي مدين اغترب فلم ينم
من أي معصرةٍ أنصبَّ في الكتم
هزّي إليك بجذع النخلة: استلمي

كنا احتسنا شراب العشق مندفعاً
تأتي سفينة نوحٍ في امتداد لظى
بإذن ربّي إذا عيسى سينفخُ في
قل أي خمرٍ روث نوحا بدعوته
في غمرة النار إبراهيمُ محتمّي
قد أسلما، تلّ إسماعيل: قد وُلهَا
قل أي معصرةٍ تُعْتَقُ مخامرها
بالله أي كؤوسٍ أسكرت وروّت
ربّه أي كؤوسٍ أثلجت حججا
البئر ما قد حوت خمرًا ولا سكرًا
لما انتهيتُم بفكر الحبِّ سكرتكم
ألقوا علينا قميصَ يوشفٍ لتغصن
قل أيّ عشق سكب لما انتهى وُلهَا
العشق يغمر فؤاد الأمّ منسكب:
ما كتّة العشق إذ مريمُ سرت، ودنت

عشقٌ سحرٌ زكريا في شذاً وندى
 ما صبوة العشق إذ عيسى ترَبُّصُه
 آهِ ولو أننا الأشباهُ تصلبنا
 ما خمرةٌ أسكرت لقمان وانتشرت
 والآن من أين سالت أبحرُ كشفت
 أي سيدي وانتهينا روضتك فمتي
 يا صوت داوودَ في أوصال حُلوتنا
 يا نور أحمدَ في آفاق نبضتنا
 تلك الكؤوس بإيمانٍ يزيدُ فقط
 يا ربَّ لو قطرةً منها ستسكروننا
 هم صَفوة اللؤلؤ البراق نحن حصا
 بالله أيُّ بـلـاءٍ راح يسـفـحنـا
 لما ولجنا رُقاق العشق وانبـلـجت
 كانت مدائنُه مفتوحةً وأنا
 أحرفٌ حكايتنا لا تلتقي جسدا
 محرابه فاستلَم يحيى بكل سمي
 أيدي اليهود فلم يصلب ولم يُرم
 نسكرُ إلى الفلكِ الجاري بمقتسم
 في نورِ أحرفه تُلقني ندى الحكم
 عن كأس عشق تفيض الدهر تبسم
 تُسقى من الكوثر الكافور نبسم
 أشهقت إذ ما عرفنا الله في الكلم
 أفنيت إذ ما قدرنا الله نستقم
 هبنا إلهي يقينا في مدى الكلم
 دهراف هذا الممات الحي لا يُرم
 صحراء مقفرة لا واحة الديم
 هذا الهوى رحمة تُلقى لتعتصم
 من عمقه خمرة العشاق لم نَقم
 بوابة العشق تصرعُ في الدخول فمي
 تُنقش على زفرة الأرواح لو هم

دعنا نكن شهداء العشق تقطفنا
العشق جَوْفَ طيني سلَّ عجنتها
الصوت ساق فؤادي رحْتُ أتبعه
قد ساقني حانة العشاق عاطرة
النأي ثغري، مزامير الهدى قطرت
لن يحدني لحنك الصافي ولا نغمك
والله قد صارت الآذان مغلقة
العشق دمر روحي شققها ومضى
يا نأي روحي أنا الأوتار قد رُبِطت
لا لن يحركني إعصار عاصفة
أوتار عودي خيوطُ ترتخي أبدا
آه إلى سحرك المجدوب منجذب
أيديه حتى يسيل البدر في النظم
فاطرق لتسمع صوت الروح في الكلم
إذ أغشي القلب من حلاوة النغم
منها الروائح: فيحاء الهدى تقم
يا حادي العيس¹⁵ إني العيس أضطرم
مزمارة داوود ساق الروح من قدم
من قطرة العشق فالحواس في صمم
أنصت إلى اللحن في الأتات والسدم¹⁶
شدت ورُصت إلى الإحساس عبر دمي
لكن ربح سليمان مئني نغمي
في باحة العشق تجذب تلتقي بغمي
باحات عشقك أوطاني وملتئمي

¹⁵ العيس: جمع الأعيس وهي الإبل التي يخالط بياضها الشقرة وقيل هي كرائم الإبل، وحاديها هو الذي يسوقها، والحذاء بضم الحاء وكسرهما هو الغناء لها.
¹⁶ السدم: بفتح السين، الحزن.

يا آيةَ العشقِ تُثنيّني مقاطعها
تشدو بتسبيحةٍ تندی عذوبتها
عشقي استوى آيةً قد أُذنتِ وسرتِ
نرسمُ خطانا بشرق الأرض - مغربها
هذا العذابُ لأسمى نعمةٍ طرقتِ
أنهارُ خمْرِ بطولِ الوقتِ نشربها
لما توازت خطوطُ المهجةِ انبثقتِ
في قوسِ عشقكُ أصير السهمَ مخترقا
صِرنا غِناءَ صحارٍ المرءِ يحسبه
العقلُ يفقدُ مجراهُ بقافيتي
هيا اقطعيّني ووازي الروحَ بالنعم
غنىّ الوجودِ رُباهَا فاكتملِ نُظمي
في ألسنِ العالمينَ: الروحَ لم تقم
من عشقنا تنطبقُ في خطوة القلم
بابي فيا نعمةً إن فاض ما انحسم
قطره بقطره تذيبُ الطينَ في النعم
أفلاكُ عشقي استقرّت في مدار دمي
ألفاظ شعري وأفلقُ شَعرةَ الكلم
عزيفَ جنِّ ابتدى يطرقُ على الحلم
هُواك يا قبله العشقِ والقلم

المقام الثالث: «مثل نوره كشكاة»

الآيات الربانية في المقامات الفتوحية

جاء في صحيح البخاري - الحديث 3532: حدثنا إبراهيم بن المنذر قال: حدثني معن عن مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب».

العشْقُ سأل استبدَّ القلبَ وابتسم	دعني، لأَمْضِ وأسْرِقَ حانة العلم
نبكي بكلِّ فرحٍ، نضحكُ بكلِّ ألمٍ	أشكالُ عشقٍ أباد العقلَ واحتدم
حبِّكَ يَحْلِقُ بي ألقى الفتات ندى	يقطرُ بأرض الحجاز النور بلّ دمي
لم يبقَ فينا وجودٌ مذ بدايتنا	أثلج بجرعتك الآهات في الرُّسم ¹⁷
فوق الثريا نسيم العشق يطرحني	والذات منحلّة في صبوة الألم
احفر بفأسك طينا شكّلت جسدي	فجّر ينابيع روعي والتقي كلمي
قرب إلى العالمين الجام مزبدة	الروح تغلي شفاهُ العشق حرف فمي
واقراً على قدحي آيات فاتحة	فالعشقُ يشطرُّ أكبادي ولا ينم

¹⁷ الرُّسم: جمع رسوم، أي الأثر الباقي.

يا أيهذا العشق إني قشّة بيدك
من صفوة الكأس وجه الكون منعكس
الطين خاملة والروح ساجدة
كبريتٌ روحي محالٌ يتقدُّ بضياً
لما انمحيّت تجلٍّ في خيالكم
قد صرت نارا وماء البحر يلهبني
قد فار تّور عشقي، أضلعي استعرت
قد غبت عن كل معنى: مذ نسمتُ سما
من حانة وإلى الحانات مرتحلٌ
في العشق ما قد درينا ليلة وضحي
هذا السفر لا يحلُّ الجمع يا بدني
صلوا العشاء بمصرٍ واعبروا شُهباً
والعصرَ في مغربٍ في حضن زاويةٍ
أطراف أرضٍ لقد جنبنا مشارقها
من القواعد ريحُ العشق قد دخلت
أنفاسكم صيرّتي بلبل القلم
في وجهها والمسا في صبحنا يقم
فاختم على شفّتي واسمّع زفير دمي
لو لم تكن شعلّة من نسمة الحرم
أنشبتُ وحيّاً يرفرف في شفاه فمي
من قطرتك سأدفع روضة الكلم
قامت تصلي صفوفا: أمّها قلّمي
أنفاس حبك بروحي فاستوى قلّمي
هذا الجسد ويجرّ القيد بالقدم
هذا السفر لا يُحلّ القصر للأمم
إنا نتمّ صلاة العشق فاستقم
بالهند صلوا الغلس، والظهرَ بالحرم
أو جامع - نترنّخ، في الصلا نقم
جنبنا مغاربها والروح لا تنم
بنياننا انتسلتنا وابتدت نسم

والله ما خرّ سقْفُ فوق باحتنا	والله قد رسَّحَ الإيمان في العَظَم
عنا رَفَع حُجْب الدنيا، ارتقى ومحي	عنا الغشاواتِ قل سبحان ذي الكرم
إنا نلبيك وحدك في امتداد مدى	سبحان ربي وهذا الكون ينحسم
في كل فجٍ نسبحُ ذا بكلِّ نفسٍ	قد خاب من دسّ نفسه في عُرى الوهم
بالله ماذا حدث لما انفتح ثَمَلا	باب الفؤاد: هوى في فجوة الكرم
باركُ إلهي لنا في كأسنا وأفضن	باركُ هنا حانة العشاقِ والنعَم
لا سُكَّرَ قبل سناءٍ بثّ مولده	لا صحوَّ بعد بزوغ البعث في الظلم
نولدُ ثلاثا: صفاء الكون مولده	ثانٍ ببعثته فأنعمُ بذِي النعم
أخرى وآخرةً ميلادنا وبه	فالروح صارت بوجه الطين تلتئم
اعصرُ لنا خمرةً تحرقُ سريرتها	حلقا فيسطعُ وميض الروح في الأكَم ¹⁸
نرقصُ على صيحة النشوان تطربنا	صرنا دميَّ لصبايا الحيّ ننسجم
نغلي حنيناً وأشواقاً وخمرتنا	تفتقُ نضارتها الأرواح في الكلم

¹⁸ الأكَم: جمع أكمة بفتح الكاف وهي الربوة، التل، المكان المرتفع من الأرض.

واحرق جراحاتنا في مَجمر السَّدم	فاسكبْ خمورا عسى يُرفعَ حجاب رؤى
من عهد آدم هي مختومةٌ تُرم	تلك الكؤوس ورثناها، مجامعها
إنا احتسينا شراب العشق في الحلم	قد فضَّها مجتبي الرحمن في مدد
مسنونةٌ كل موسى حدَّها ابتسم	القلب والروح في مبراته انفلقا
والروح تنزعُ لترقى في السما تقم	الطين تنزعُ إلى أرضٍ تضمدا
من ثوب دنيا، كستنا خرقة العدم	الكأس ملائنةٌ عرَّت سريرتنا
من عُقدةٍ ترجمُ الأرواح في الكتم	هذا الخواء اعتمأُ الروح فانفتحوا
سبحان ربي الذي سوَّك من عدم	من شرفة الكأس قد أطلَّ بدر دنا
صلوا عليه وسلموا بكلِّ فم	والله لا صحو من حبك محمدا
تعيد عجنَ صدى الفخار بالفحم	نيران عشقي سرت في داخلي وطغت
أعجنُ بلينٍ وكسري هبَّةُ الألم	هذا الوجع من طريق العجن في صُحفٍ
إذ كلَّ شيءٍ أسرَّب لا ولا تلم	من شدة العشق غربالُ أنا بأنا
عاشقُ أرى دوران الكون في الكلم	بالله أي غرامٍ شاع في جسدي
الروح ساجدةٌ في مُقلَّة الكرم	دنيا برمَّتها تجري وساجدةٌ
أجري مع الفلكِ الدوار لا أنم	الكون يحيا وروحانيَّةٌ سُكبت

حتى أراها من التلوين مثبتةً
يا حضرةً أشرقت إن الوجود غيَّبني
حتّام تُشنقُ روعي في عذاب جوى
والرأس يسقطُ في قِدر الوجود متى
حتّام تخنقني الطين التي استعرت
ما السر في ألمٍ نلتدّ صبوته
لا تُصباحونا ولا تمسوا شعائنا
في حيّكم نحتجب والطين تسترنا
آذان عشقٍ بلالٍ لو أتى وهجُ
في حارة العشق نشحذ كل زاويةٍ
جلدي تفسّخ في أرضٍ فراسخها
أذوي وأصبح مُحاقا - دورتي ابتدأت:
إن تكتمل دورة العشق الجنين أنا
بالله هيا اشرحوا عقل الهوى فأنا
حيناً أرى زحلا تحت الفؤاد سرى

في صفحة تحفر التمكين في الحرم
أسجدُ وأسجدُ وأسجدُ دون أن أقم
حتّام مقصلةُ الفخار كالعلم
أهوي إلى هُوةٍ من بسمه العدم
فشكّلتُ جسدي في موقد الفحم
السر في كأسنا ياقوتها يدم
الشرب هذا فضيلةٌ لكل فم
في الليل نشرق وفي الأيام لم ندم
في ظلمةٍ فابن مكتومٍ يُهيج دمي
إن التسوّل ركنٌ وهُو يُلتزم
في البحر قامت وبالشّعرى ستلتحم
في الكون دورة عشقٍ الروح تضطرم
إني سأخرجُ بدرا مكتملٌ بدمي
حيناً مقيّدٌ وحيناً خاتمُ الكلم
حيناً إلى الأرض أهوي أنسحق بدمي

فجرا أعجّل إلى الحانوت منتظرا
إن يفتح داست العشاق أجنتي
أحبو إلى روضة الساقى وتفتحي
تلك الحوانيت تلك الكأس ندمنها
هذا الصداق وهذا السكر ليس يلي
إني أثور كبركان يفور دمه
زدنا خرابا فلا ترغب بنا مقل
زدنا احتراقا وصيرنا الدخان لمن
صحت الدنيا لست ممسوسا أنا ثمل
ما حاجتي للرقاة القلب منتشي
يا خمرة ختمها من آدم انتشرت
يا عشق قافيتي تهتز تاركة
في عالم الطين قد شككت نبرته
ليت عظمي أرى صيرته وترا
يا أيهذا العشق تُثنيني أصابعه
أن يفتح الباب فالعشاق تضطرم
داست علي كعوب صبرها انقسم
إشراقة واحده تعبق بكل فم
من رشفة نستنير السكر لا نقم
أبواب عقلي، تعدى الكون لم ينم
يوما أثور أفجر كوكب القلم
دعنا لنندك في الأسوار والدعم
يهوى التحرر، أنوارا لكل عمي
من فوق رأسي وحتى ما يلي قدمي
لا رقية أرتجي، صاح من القدم
عبر العروق لتكتب بردة القلم
صوتي بغصنك يوحى مقطع النغم
في عالم الروح قد غنّاك بيتسم
في عودك استسلم الإحساس قبل دمي
رقق مقام جهير في شذا النغم

أخفيتني عن حواسِ الخلق وانتشرت
قل أيُّ جانٍ فحتى الجنُّ قد ثملت
مذ سيطر العشق قل هوّيتي فُقدت
الأرض تغلي وتحمّى في بواطنها
يا عشقُ زلزلْ نوى الأعماق في جسدي
هذا الأنينُ رُعودُ فككتْ جسدي
جفت مآقي عيوني اليوم فاحتملت
والنيل ينصبّ في الإصباح مندفعاً
يا روح يا دفترى المنشورُ في بدني
سحر المعاني حجابٌ يتقدّمني
غلفتُ لؤلؤةً صوفيةً وصفا
شمس بهائيةُ الأنوار عطرها
الحرف سجّادنا والنظم سُبحتنا
واشتقّ من وردة الكون السديم شذاً
أنفاس عشقك نورٌ لست أزفره

عني إشاعات جنّ بالجسد تقم
أوطانها وجبين الجنّ لم يقم
للعشق كل انتماءاتي التي همّ
في السطح زلزلة ترسم خطى النسم
وارسم لروحي دروبا للفنا تقم
والبرق فيّ تغلغل: مفصلي انقسم
مياه دجلة والفرات في الظلم
تندى روافده من هبة الألم
العشق خدّر حرفي فانتشى كلمي
فارم الجمار عسى الأسرار تبتسم
في السرّ فاتحها فاختم حروف فمي
صوت الأذان فذاب الحرف في الكلم
ما انفكّ فينا صدى التسبيح يا قلمي
لون الغبار ارتدى طلعي لبيتسم
الروح منعشةٌ بالعشق تستقم

رتّل أيا قلب آيَ العشق أحرفه
ربّاهُ من شرح الروح التي حميت
ربّاهُ غُلقتِ الأبواب ثم هوى
ربّاهُ ما وردت في خاطري صُورُ
العشق أربك مجرى العقل أخرسه
تنزلُ شهابا لتروي الشعر في الكلم
فانصبَّ فيها نحاس العشق كالحمم
في فورة الغليان التّبرُّ¹⁹ لم نقم
عشقيةً مثل هذه تتقد بجمي
اقطعُ شرايين صبري واستبخ حُلمي

¹⁹ التبر: الذهب أو الفضة في حالتها الخام.

المقام الرابع: «فيها مصباح»

الفوائس الكافورية في المزارات المشكاتية

جاء في سنن أبي داود - الحديث 4932: عن عائشة قالت: قدم رسول الله ﷺ من غزوة تبوك، أو خيبر، وفي سهوتها ستر، فهبت ريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لُعب، فقال: «ما هذا يا عائشة؟» قالت: بناتي، ورأى بينهما فرسا لها جناحان من رقاد، فقال: «ما هذا الذي أرى وسطحين؟» قالت: فرس، قال: «وما هذا الذي عليه؟» قالت: جناحان: قال: «فرس له جناحان؟!» قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلا لها أجنحة؟ قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه.

يا بارئ أتوسّلك يفيض دمي	إني توسّلتُ ربَّ العرش والقلم
فالقهرُ يشربُ حبرا جفّ في قلمي	روحي استعانتك حرّني أيا سندي
والروحُ ترجف: كوثها جمرُ الألم	جرحي تعقن عيوني اليوم داميّة
في كأسِ رُوحِي كنارِ البرق في الظلم	صفراء مثل النحاس الذائب اشتعلت
والحزنُ برّح بي فالعوثُ ذا الكرم	فالعوثُ يا بارئ القلب منطرح
عبداً يذوب بحرّ الذنب لم يقم	يا ربّ أنت غياث المستغيث أغث
ريحُ الفراق بروحي شلّني سقمي	يا ربّ خافيتي قد برّحت عصفت
مُرّ العذاب تدفق في لسان فمي	واشتدّ أيّ خالقي هولُ البلاء أذق
أدرك أيا ربّ عبدا غاص في الظلم	إني تجرّعته مولاي ذا زمنا

لما دعا زكريّاكم ملائكة
 حتى أتت باقة البشرى قد انفتحت
 يا ظبيّة بالعقيق استوقفت عُمرِي
 في سحر سِناء حيّاك السنا وبدت
 بالله لا تتركيني قد دنى أجلي:
 قاسيتُ يا ظبيتي مُرَّ الفراق لمع
 إن متُ صلّي على روعي دعي جسدي:
 طيفك تلاشى بعيداً أرتمي ويدي
 قلبي الحزين يناديك اختفى أثرُك
 والروح تسأل عطرَ الياسمين أرى
 ذكراك هاجتُ كياني بالدُّجى فبرق
 أضحي فراقك سيل الدمع وابتسمتُ
 وارضَني أيا ظبيتي أقدارَ بارئنا
 حول المصلّى: من المحراب لم يُقم
 في القلب إذ تغمرُ الوجدان تُستلم
 بالله، أرجو أيّمْ منك ذي سَلَم²⁰
 عيناك تلمع كالياقوت في الظلم
 حلق فؤادي إليك اسئل وانسجم
 في داركم عهد حبّ قد حُتم بدمي
 أطيّار صمتي ستدفن جثتي ابتسمي
 تُمسك ظلالاً قد اسودّت بلا حُجم
 لا تستبيحي دم المحزون في الحرم
 ربحان تلك الدّيار انساق للقلم
 في الحيّ ثغر دمي المسفوح من قدم
 ذكرى ملاقاتنا في صفحة الخُلم
 صوتي الحزين دعا مولاه ذو الكرم

²⁰ وادي العقيق: وادٍ بالمدينة المنورة، ويَمَّم: قصد.

قد طاف طيفك بأركانٍ مُباركةٍ
 في بيت إيلٍ ذوّت روعي تناشدني
 لحظه بلحظه²² حيني ذاب في أُملي
 صلّى الفؤاد على الهادي بكلّ مدى
 قد صرثُ حرفك فاقرائني على شَفَتِكَ
 سالتُ على صفحاتِ القلبِ أوديةً
 أَرْجِي²³ العواطفَ أخلصَ كل عاطفةٍ
 دعني أسلّم كؤوس الروح ثم أذب
 والأقحوان سيزهو في مواطنها
 تُفرغ كؤوس ندى في تاج زهرتها
 ربي: زهورُ فؤادي غُضّة ذبلت
 دمعي انكسر بضفاف بثّ مؤنسها
 يا ربّ أين تناهى النبضُ والتزم؟
 في مسجد الخيف²¹ نَظَم الدُر في النُظَم
 في طيبةٍ اتَّفَق الميعاد فابتسمي
 صلّى وسلّم ببدءٍ بعدُ في ختم
 دعني لأُحرق في الأنفاس والنعم
 قد فاض حبري: غمستُ النفس في القلم
 تحفّق ويحنو مسائي في المدى العمم
 في الأرض يوماً ستنبث وردةً بدمي
 نادى فراشة حُلُمٍ ودَّ يرتسم
 يزهو شذا باحةٍ مسكّية النعم
 أوراقها، أحبها يا مُسبغ النعم
 شفافة جزر الأشواق في الحلم

²¹ بيت إيل: بيت إيل من أسماء بيت المقدس، ومسجد الخيف أحد مساجد مكة المكرمة.

²² ترخيم تاء التأنيث في لحظة، والترخيم يجوز في الشعر لغير النداء.

²³ يزجي: يسوق.

تزهو بها زنبقات الماء فابتهجت	مياه فكري تناهى العطر للقلم
تأملات أحاسيس أسايرها	قد بت يا قلب ترعاها، لما تهم؟
تغدو، تروح بأشواق يجالسها	زهراً اصطباري ²⁴ على دربٍ ولم ينم
لون البنفسج يُداني الشوق مؤتلفا	قلبي يصير رياح الشوق في الذمم
والريح تلمس جراحاً للريبع وما	جرح الريع سوى بردٍ وحرٍّ حمي
طيئٌ صغيرٌ بقلبي ذاق عاطفتي	حلّق بحبٍ شدا بالحن والنعم
أنصت لروح صباي: اليوم أتركها	حتى تبوح بأسراري وتنسجم
تحت الظلال لكم تُغري طفولتها	وانسل برق الصبا أيقظ هنا حلمي
عيناك تنظر إلى قلبي أيا قمري	أبكي توسلتُ ربي في دجى ظلمي
حتى ألاقى ربيع الوصل يحضنا	ناجئته في سماء الصبح والذهم
في مهدٍ روعي تنام اليوم لؤلؤتي	أيقظتها في دنا الأحلام بالقلم
ظلت مخاطبي والقلب شرقة	رطب الأحاسيس والأشواق تستقم

²⁴ الاصطبار: الصبر.

وَهَاجَةً فِي سَمَاءِ الْقَلْبِ ضَائِعَةً
 أَقْمَارَهَا تَتَهَادَى مِثْلَ سُوسِنَةٍ
 آهٍ وَقَلْبُ أَلْفِ آهٍ، ضَوْءُ كَوْكَبَةٍ
 تِيجَانُ عُودِكَ كَمْ تَذَكِّي رَوَائِحِهِ
 دَعَهَا لَتَنْسَجَ أَكَالِيلَ الزُّهُورِ فَرَحٍ
 كُؤُونِي بِفَكْرِي كَشَمْسٍ تَتَقَدُّ حُسْنًا
 تَضْفَرُ خِيوطَ الشَّفَقِ وَالشَّمْسُ غَارِبَةٌ
 تَشْتُمُّ عِبرَ حَنَائِي ابْتِسَامَتَهَا
 وَاصْفَرَّتِ الْأُمْنِيَّاتُ الْبَيْضُ فِي شَرِّ
 قَلْبِي الْحَنُونُ تَلَاشِي فِي الشُّوَاطِ²⁷ فَمَا
 فِي ظِلِّهَا أُمْسِيَّاتُ الْوَدِّ صَافِيَةٌ
 أَوْقَفْتُ لَحْظَةً إِحْسَاسِي: ابْتَدَى زَمَنٌ
 فِي ضَوْءِ أُمْنِيَّةٍ وَرَدِيَّةٍ الْعَنَمِ²⁵
 تِيجَانُهَا تَتْرَامِي الْجَرْحُ يَلْتَمُّ
 مِشْتَاقَةٌ مَرْمَرِيُّ اللَّوْنِ فِي الْحَلَمِ²⁶
 فِي هَالَةِ الْقَمَرِ الْفُضِيِّ تَنْسَجُ
 دَعْنِي أَلَوْنُ خَطِي الْأَفْكَارِ أَبْتَسِمُ
 كُؤُونِي كَمِرَّاةِ رُوحِي فِي رُبِّي الْكَلَمِ
 تَكْسُو الْأَنْيْنَ فَرَحٍ وَالشُّوقُ يَحْتَصِمُ
 تَدْعُو إِلَهِي لِيَغْفِرَ زَلَّةَ الْقَدَمِ
 أَلْقَتْ بِهِ نَارُ غَمٍّ ضَرَّ وَانْكَتَمُ
 حَرَّرْتُ رِيحَ النَّفْسِ إِلَّا بُؤْرَ دَمِي
 لَاحَتْ كَجَوْهَرَةِ الْبَحْرِ فِي الظُّلَمِ
 يَعَصُرُ سَنِينَ الصِّغَرِ فِي كَأْسِ مُتَحَدَمِ

²⁵ العنم: شجر له ثمر أحمر.

²⁶ الكوكبة: تجمع لعدد من النجوم، والمرمر: نوع من الرخام شديد الصلابة والصفاء.

²⁷ الشواط: اللهب الذي لا دخان فيه.

في داخلي ذلك الطفل الصغيرُ ابتدئ
 لا تنسني في ضُمرِ الحزنِ لو لمِسْتُ
 قد حالَ نسيانُهُ إذْ نجمةٌ ودعا
 إني أحركُ خيوطِ القلبِ دون أذى
 فاضت إليّ: رُؤى الأنفاسِ صادحةٌ
 أرجعتُ فكري إلى عُمر الصبا فدنا
 ذكّرته وردتا البستانِ حولهما
 رغم الصّغرِ يا يدي: بللتِ تربتها
 لا زلت يا راحتي صغيرة: استمعي
 واليوم داعبتِ صمتَ الحرفِ فانبثقتُ
 أي بردتي قربَ عيني قد كبرتِ وكم
 أي قصّة العشق في الأيامِ تحضُّني
 لما تراءيتِ في الأيامِ أمنيّةً
 لما انتهيتِ إلى الإحساسِ خافقة
 فرشاة حَبِّكَ تُفيضُ اللون يا كَلْفِي
 ينطقُ يُهجّئُ أحاسيسي ويتسم
 أجفانُ حيّ مرايا الدمعِ والنقم
 في السرِّ داعٍ لينشد طائري بفمي
 تهتزّ من رعدة الأشواقِ في الحلم
 تحكي عذوبةً صمتي نغمة الألم
 وقتُ الصّغرِ قبلَ تحليقي إلى الهَرَم
 تنمو حديقتنا، فيها نَمى حلمي
 رغم الصّغرِ قد عجنتِ الطين فابتسمي
 إن البراءة تخفقُ في صدى النغم
 في القلبِ أصداءُ إحساسي بلفظِ فمي
 أحببتُ حبوكُ بكيتِ الليل لم تنمي
 عيناك تكتبُ جراح القلبِ والقلم
 في بؤبؤ العين أُلقتُ نجمةً الحلم
 صوّرتِ في عذبة الأنفاسِ تبتسمي
 كلُّ الحكاياتِ قد تناغمتْ نغمي

في كل بيتِ حروفُ الودِّ خافقةٌ
 فاسمك واسمي بصمتِ خاطبا قلّمي
 ناغيثها²⁸ وسحابُ الدمعِ قلْتُ غشا
 سماء قلبي تَغشَى الروحَ وارْتَسَمَ
 تحت الشَّجرِ كم قطفتُ الزهرَ تجرحني
 أشواكه وجراحُ الطفل ترتسم
 إني تألمتُ واليوم انتهى زمني
 ذكّري بِذكرى تمرُّ اليوم كالْحلم
 لا تحزني ووفاء الروح في وطنك
 فجري يُناديك دوماً في جوى²⁹ الألم
 واشتقتُ سُحتُ دموعي كلّ زاويةٍ
 لم تسمعي نعمةَ الأنثى فاستلّمي
 عيناك تذرفُ دموعي والجوى أملٌ
 تدري: فراشاتٌ عمري لحظة الكرم
 أدري قريباً ستطوى صفحتك عمري
 مغناك يا رحلتي قبرٌ لذا استقمي
 نادتك يا قلبُ رؤيا النورِ وانتشرت
 في خاطري أحرفُ ترسلُ ندى كَلّمي
 تنسابُ عبْرَ حديثِ الرُّوحِ صامتةً
 تعبُرُ كذاكَرى تسرُّ العينَ في الكتمِ
 لوّنتِ فجري رَسَمَتِ الودَّ في أَملي
 صُغَتِ التحايا كعطرِ الحبِّ في القيمِ
 هيّا دَعيّني لألمسَ ظِلَّ خاطرتك
 أنسلُّ عبْرَ ثنايا الحُبِّ، فأنسجِمي

²⁸ المناغاة: يُقال ناغى الطفل: أي كلّمه ملاطفاً.

²⁹ الجوى: الحرقه وشدة الوجد والشوق من حبٍّ أو حزن.

فِي دِفْءِ رُوحِي تَغْلَغُلُ لَوْنُ عَاطِفَتِي
 وَخَاطِبِي بَصْمَتِكَ فِي ظِلَالِ كَرَى³⁰
 قَلْبِي تَشْرَبُ دُمُوعَكَ فَالتَّقِي زَمَنًا
 شَذَا الْقَرْنُفُلِ مَهْتَاجُ بَمَزِلِنَا
 فِي ذَلِكَ الْبَيْتِ دَغْدَغْتُ الشَّعُورَ وَمَا
 دَعْنِي أَخْبَأُ بَوِجْدَانِي مُحَاسِنَهَا
 مِثْلَ الرُّضِيعَةِ مَهْدُ الْقَلْبِ يَحْمِلُهَا
 آهٍ، ذِرَاعَاكَ فِي الْأَحْلَامِ تَحْضُنُنِي
 تَبْكِي وَقَلْبِي بَكَى إِنِّي أَهْدُهُهَا
 تَدْرِي أَنَا الْكُوكَبُ السَّيَّارُ فِي فَلَكِ
 وَالْيَوْمَ سِيرِي مَعِي تَنْسَابُ قَافِيَتِي
 تَدْرِي أَسَارِيرَ نَفْسِي هِيَ مُسَبِّحَةٌ
 أَوَّاهُ مِنْ نَارِ عَشَقٍ تَسْتَبِدُّ بِنَا
 يَرْقُصُ شُعُورِي كَقَطَرٍ لِلْمَطَرِ عَمِيمِ
 حَتَّى أَنَامَ بِقَلْبِكَ فِي شَذَا حُلْمِي
 مِنْ ذِكْرِيَاتِي، لِأَحْكِي زَهْرَةَ الْأُمِّ
 حَرَّرْتُ عَصْفُورَ فِكْرِي طَارَ قُرْبَ فَمِي
 شَيْدْتُ سَوْرَ ظِلَامٍ فِي رُؤْيِ حُلْمِي
 كَبَلَسِمِ إِنَّنِي أَحْنُو عَلَى الْيَمِّ
 أَحْنُو عَلَيْهَا وَأَرْفُقُ فِي مَدَى النُّظْمِ
 فِي دِفْءِ رُوحِي أَحْيِيَهَا فَتَبَسِّمِ
 مِلءَ اللَّيَالِي وَلَوْنُ الْحَبِّ فِي الضَّرَمِ
 لِلْعَشَقِ أَجْرِي وَأَمْسُكْ شَعْلَةَ الْقَلَمِ
 وَالزَّهْرُ إِنْ أَمْطَرْتُ يَرْقُصُ فَيَحْتَشِمِ
 شَكْوَى شِكَايَتِهَا مُشْكَاةَ سَيْلِ دَمِي
 غَادَرْتُ عَقْلِي وَفِي الْوُدْيَانِ أُسْتَلَمِ

³⁰ الكرى: النعاس.

ربّاه في كلّ وادٍ همّتُ أثبتني في آية الشعراء النور في قلّمي
إن لم أجنّ بكم لا عقل يُدرّكني فليُسحقِ العقلُ حتّى يبتسم كلمي

المقام الخامس: «المصباح في زجاجة»

الفتوحات الإلهية في الأوراد الإيمانية

جاء في سنن أبي داود، كتاب الأدب، الحديث 4969: عن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يدخل علينا، ولي أخ صغير، يكتي أبا عمير، وكان له نُعْرٌ يلعب به، فمات، فدخل عليه النبي ﷺ ذات يوم فرآه حزينا، فقال: «ما شأنه؟» قالوا: مات نُعْرُه، فقال: «يا أبا عمير، ما فعل النُّعَيْرُ؟»^{*} قوله ﷺ النُّعَيْر: تصغير النُّعْر، وهو البلبل، وقيل: فرخ العصفور.

أبكي ومن كرم التوبات والندم	أبكي ووردةٌ روعي استشهدت بدمي
أنذرتكم أني المجنون مستعرٌ	في الروح، ألحْتُ: ما حجة الكلم
اليوم أوقد جنوني لن يراجعني	حسنان لا العاشق الوسنان في إضم
يا كعبُ أفلتَ يدي فالיום أغني	في حانةِ العشق تروي شعلتك بدمي
والله يا جعفر، لا لن أطيّر معك	باقٍ هنا وجناح العشق باسطٌ قلبي
أي دحية ³¹ إني السَّكِرُ، ها ثملٌ	لكن نار محمدٍ سُعِّرَت بدمي
قد حال تخدعُ روحَ العشق صورُتكم	ارحلْ وإلا نسفتُ الأرض بالقدم

³¹ دحية الكلبي رضي الله عنه: الصحابي الجليل، وأشبهه الخلق بسيدنا محمد ﷺ، كان يُضرب به المثل في الجمال، وكان جبريل عليه السلام يأتي النبي ﷺ على صورته.

ما نال أهل الهوى عشقي وما صَعقت
 قبل انتمائي إلى الحانات ما اتَّحدت
 روحي تغني: مهاوي العشق نشوتها
 غنيت عشقي على الأكوان دون خجل
 نعم الهوانُ ونعمَ الذلُّ يا وَلهي
 طه أيا ربِّ طه اصطادني علقته
 يا بسمةً تستبدُّ القلب تقتلعه
 دعني لأزفرُ حروفَ النور يا كلفاً
 ربه فيض الدَّلال الأحمديّ لظى
 أي احمدي أنتَ نصلُّ الرمح في كبدي
 شقيت فيّ قُرى حواءَ قاطبةً
 بناتُ حواءَ ذابتُ واستوت حُجبا
 بارك إلهي حياءً فاض مرتعشا
 قل حاشَ لله ما هذا يكونُ هوى
 الكون يشهدُ عشقي والعيون بكث

في سُنَّة الأولين العشقُ أي دم
 بالآدميّة روحُ العشقِ يا كلمي
 هذا الغرام جنونٌ ما رفعَ قلمي
 أَلقيتُ ثوبَ حَيَا والعارُ لم يُقم
 إني أجذ ربح عشقي صوبَ ذي سَلَم
 روحي بجبل شباكه كيف لا أهم
 بالله خَفِّفْ وهبني شهقة القلم
 أضنى الفؤاد، رَحى العشاق من قدم
 قد أهلكني وعمري طال وانكتم
 تكوي الجنان وأنتَ البدرُ كم تُرم
 أدري ولا ضيرَ، شَفِّ الكونَ وابتسم
 قل كيف يسُئِّرني؟. طيفي انمحي بفمي
 إني هتكتُ حجابَ السِّترِ من قدم
 يَنشَقُّ من سبحاتِ صُورَتِ كلمي
 من مشهدِ القبة الخضراء لم تقم

هل أنت تفاحة الفردوسِ حلّت لنا
إنا شـهدناكِ إيماناً بطيبتنا
فردوسَ روحي أقبلك الدنا ظمنا
الروح تحفو بقاعاً بوركت وسمت
بالله ما أجملك يا نور قافلتني
يا قبة العشق آيات الهدى سطعت
لما تنادوا صُواع العشق قد فُقدت
في رَحْلِ روحي أرى آيات طه فشَت
إني تلعثت: أحمد - كيدُهُ - سطعت
طه استعار بعيري - حنطتي تُركت
أقصِد: صُواعي - وبنيامين - حنطتُهُ
واهتجت: كيدُ مُحمَّد يوسفِي شذا
قُيِّدتُ مبتلعاً ريقِي أيا سندي
إنا أبا القاسمِ اشتقنا بكلّ مدى
الروح صاحت وحمّى العشق تصهرني
يقطينةً أسكرت ذا النُّون في الأدم
يامي أسرت خيال الروح في الحلم
أواه يا جنّة خضراء تنسجم
نشهق ومن عِظم المقصود في الحرم
هذا الجمال السماويّ استحلّ دمي
قلبي توقّف: حمامك حطّ فوق دمي
أشفقتُ حال افتضاحٍ باح بالنقم
قد صحت: كيدُ محمّد، بان ما التثم
في حبة القمح - عشقه راح يبتسم
في رَحْلِ يوسف، بنيامين لم يقم
يوسف، انظروا، يبتسم كالبدْر في الظلم
في لحظة ضحكوا: يا سارق انفحم
في دينِ عشقٍ فأحمدُ قد أخذ قلّمي
رباه فاطرخ وجودي طيبة الكرم
طوفان نوحٍ إذا ينصبّ ينحسم

عافاكمُ الله من بلوى الهوى استعرت
صيرتني راقص الحانات تفتكُ بي
أعي حياي العذارى وانتهى قمر
اليوم أسكرُ في الأحياء مايلني
يا رحمة ألقىت للعالمين لقد
في سورة العشق أعشق قبل بسملة
يا رحلة في نوايا الوصل أنشدُها
قربي تهاوى سنا العشاق واتفقوا:
بالله يا هاجر اسقِ الصبَّ³² زمزمكم:
من سارة افتك بُشرى العشق مستترا
أجسادنا محض عجلٍ للإني³³ افتقرت
لما تنزلت البُشرى غدوت رؤى
عادت بشارة إسحاقٍ وموكبنا

والروح في ربوة الحلقوم تضطرم
آيات عشقٍ وترعى لمسة الذمم
حتى تجلّت خُدوري روضة الشيم
مزمار عشقك وكأسي تتحدُ بفمي
دمّرت قافلة العشاق من قدم
الله الله الله تُهيج دممي
فانوسُ عشقي يُضيءُ الدربَ للكلم
إنا سنسألُ هاجرَ زمزم الكرم
ينزلُ فلسطين: يُحضِرُ جوهر النعم
في النار دُعِ عجل ابراهيم للنسم
دع طائر الروح يدركُ أحمد الكرم
ذاب الفؤاد من التنزيل واحتشم
عجل إلى بيت عمرانٍ ولم ينم

³² الصبّ: العاشق، لأنه إذا اشتدّ به العشق بكى فينصبُ الدمع من عينيه.

³³ الإني: النضج.

رباه مريم لم تحمل بشارتنا	بالله يا زكريا أين نستقم
تشتد نار الهوى والشوق يقتلنا	هل سر طه انتهى المختوم من قدم
رباه مائدة المسيح قد نزلت	أم حانة الكون دارت في رؤى قلبي
آه وقد سُكِّرتْ أبصارنا زمنا	لما حقيقتها بانَتْ على العلم
عشّاقُ أحمدٍ تحاموا لحظةً دفعوا	بي خلسة: ائتنا بالكأس في كتم
ربّاه إن الحواريين قد فطنوا	عيسى ابتسم وجبيني بالثرى التحم
إني سرقْتُ شرابَ العشق منطلقا	وانسلّ في أثري العشاق كالديم
عشّاقُ أحمدٍ أثاروا الأرض إذ ركضوا	لن أسقكم قطرة فالروح في ضرم
قد بتّ أشربُ، صار النبض مطرقةً	والروح تبصرُ ذو القرنين دقّ دمي
عشقي صَهَرُ زُبَرِ الحديد واندحرت	ياجوجُ ماجوجُ حتى ساعةً تُقم
سلّمت كأسا فبشرى النور قد سطعت	من هدي عيسى افتككت السرّ فاعتصم
لَمّا تعالى صياح الديك وابتسمت	في خاطري ساعة الفجر انثنى ألمي
قام الجنان يصلي: في المدى ابتهججت	روحُ تبرّحها الآلام في الكتم
من زيت سيناء قد أوقدت خاطري	والحزن يمزج دموعي في سيول دمي
أرعى النعاج يدي قد داعبت حملا	أمسح على صوفه، أحنو بلا سأم

فِي الْمَرْجِ تَبْهَجَنِي الْحِمْلَانِ غَادِيَةً
 تَزْهَوُ نَعَاجُكَ بِالْوَادِي فَالْحَقَّهَا
 فِي أَعْيُنِ الْمَاعِزِ اسْتَلْقَى مَدَى بَصَرِي
 سَقَتَ النِّعَاجَ إِلَى وَرْدٍ وَمَنْسَأْتُكَ³⁴
 بِاللَّهِ عَشَّاقٌ أَحْمَدُ أَيْنَ مَوْكِبِكُمْ
 أَدْعُو إِلَهِي يَبْسُرْ وَصَلَكُمْ لِأَذَقْ
 قَدْ شُقَّ قَلْبِي وَدَفَّاءُ الْعَيْنِ قَدْ بَرَدَتْ
 فِي دَاخِلِي غَرْدَ الْقُمْرِيِّ فَاثْبَقَتْ
 إِنْ تَنْظُرُونَ إِلَى قَلْبِي تَرَوْنَ أَسَى
 سَبْحَانَهُ وَابْتَلَى قَلْبِي بِفَرْقَتِكُمْ
 الشُّوقُ فِي دَاخِلِي حَرَّكَ مَقَاصِلَهُ
 صَبَحَا تَوَهَّمْتِكُمْ أَمْ قَدْ حَلُمْتُ بِكُمْ:
 سَلَّمْتُكَ الرُّوحَ وَالْوَجْدَانُ مِنْكَسِرٌ
 ثَعْنُو الْحَمَلَ قَدْ تَعَالَى فِي مَدَى حُلْمِي
 تَغْمُرُ ظُرَافَتَهَا قَلْبِي فَأَبْتَسِمَ
 سُبْحَانَ رَبِّي تَنَادَى أَعْيُنُ الْغَنَمِ
 قَدْ ذَكَّرْتَنِي بِحُبِّ بَتِّ مِنْهُ ظَمِي
 قَلْبِي انْتَهَى أَمَلِي مَوْلَايَ ذُو الْكَرَمِ
 عَذَبَ التَّلَاقِي فَهَذَا الْحُبُّ مَا أَنْكَمَ
 فِي جَوْفِهِ الرُّوحَ إِذْ بِالْهَمِّ تَرْتَطِمُ
 أَنْشُودَةٌ عَذْبَةٌ تُرْجِمُهَا بِفَمِي
 يَمَزْجُ حُرُوفِي لِيُضْفِي دَمْعَةَ الْقَلَمِ
 سَبْحَانَهُ وَاتَّصَفَ بِالْوَسْعِ وَالْكَرَمِ
 حَتَّى شَعَرْتُ بِأَنَّ الْقَلْبَ يَنْفَصِمُ
 فِي ثَغْرِ حُلْمِي تُرَدِّدُ نَغْمَةَ الْقَلَمِ
 أَنْتَ الرِّفِيقُ وَأَنْتَ الْأَنْسُ فِي الدُّهُمِ

³⁴ الورد: النصيب من الماء، والمنسأة: العصا.

فِي رَجْفَةِ الْفَجْرِ عَيْنُ الصَّبْحِ نَاعِسَةٌ
 تَبْكُونُ فِي حُضْنِ رُوحِي مِثْلَ لَوْلَاةٍ
 يَا طَائِرِي عُذِّ إِلَى مَاوَاكَ دُونَ أَسَى
 تَخْفِقُ جَنَاحَكَ تَدْرِي الْبَعْدَ مَرْقَنِي
 مَكْسُورَةٌ فِي هَوَاءِ الشَّقْوِ أَجْنَحْتِي
 صَلِّي بِقُرْبِي دَعَاءُكَ فِي السَّجُودِ وَهَجْ
 مَوْلَايَ قَلْبِي فَمَوْجُوعٌ تَضَيِّقُنِي
 لَيْسَتْ عِبَادَةٌ رَبِّي تَسْتَقِيمُ عَلَيَّ
 يَا رُوحُ لَا تَيَاسِي مِنْ رُوحِ خَالِقِنَا
 وَاسَيْتُ دَمْعِي وَعَيْنِي الْيَوْمَ سَاهِرَةٌ
 مَرَّتْ سَوِيَعَاتُ لَيْلِي، فِي تَعَاقُبِهَا
 شَقَّ الْحَنِينُ مَسَارَا كُنْتُ رَاسِمَهُ
 فِي لَهْفَةِ الشَّوْقِ نَبْضُ الْقَلْبِ يَنْفَصِمُ
 إِلَيَّ أَوَاسِي جِرَاحَ الْفَجْرِ فِي الدُّهْمِ
 جَرَحِي يَسِيلُ أُيْجِرُ كُلَّ ذِي أَلَمٍ
 أُسْكِنُ حُرُوفِي لِتَصْنَمَتْ نَعْمَةُ الْأَلَمِ
 بِاللَّهِ فَاجْلِسْ بِقُرْبِي وَالتَّقَطْ كَلِمِي
 صَلِّي بُحْبُ دَعَوَاتِ الرُّوحِ وَالْقَلَمِ
 نَوَائِبُ قَدْ تَنَالَتْ دُونَ مَا سَأَمُ
 حَرْفٍ³⁵ قَضَائُكَ أَرْضَاهُ وَفِي قَسَمِ
 هِيََا أَصْبِرِي وَامْتَحَانَهُ صَادِقُ الْكَرَمِ
 لَا عَوْدَةَ تُرْجَى مِمَّنْ رَحَلَ فَنَمِي
 مَا حَلَّ فَجْرِي، وَأَجْفَانُ الضَّحَى تَنَمِ
 عَبَّرَ الْعُرُوقَ وَأَزْهَرَ فِي لُظَى أَلْمِي

³⁵ يعبد الله على حرف: يعبد الله على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل يضرب، لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة.

إني سهرت ليالٍ، صُغتُ في يدِكم
 يا روحٌ قد رففتُ في الجوّ أجنتك
 طيري أيا روح طيري في سماء هوى
 لَمَّا فؤادي توقّف في محطّتهم
 لَمَّا جفتني ديارٌ في الحياة شذا
 لَمَّا جرّت عبرةُ النجوى³⁶ بدارهم
 قد أوردتني إلى المغنى³⁷ سمّحتهم
 في ليلتي ثومضُ الأفكار هامسةً
 أغمضتُ عيني: راح القلبُ يكتبني
 سلّمتُ رُوحِي غبارَ الطلعِ تلفظُها
 دمع العيون كقطرٍ ضاءَ في الدّيم
 أمّا جناحي فينزفُ قطرةَ الحلم
 طيري إلى طائرٍ حلّق بذي سَلَم
 سالتُ دموع حنينٍ عاتبَتُ ألمي
 قلبي انتهى عند دارٍ ذاتِ مُقَدَم
 شَعَّتْ أحاسيسُ حبٍّ ليس يتصرّم
 أجلسُ بباحتهم، أُسقى ندى حُلُمي
 قلتُ انتهى في نوايا القلبِ وانكّمتي
 بكلِّ ما فيّ: إحساسي ولفظُ فمي
 ريحُ الهوى فانفتحتُ البدرَ في الظلم

³⁶ النجوى: السريّة، الضمير.

³⁷ المغنى: البيت أو المنزل.

المقام السادس: «الزجاجة كأنها كوكب دري»

البركات النورانية للأقطاب الربانية

جاء في صحيح مسلم، الحديث 2287: عن جابر، عن النبي ﷺ قال «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ، كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَارًا فَأَتَمَّهَا وَأَكْمَلَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ. فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، وَيَقُولُونَ: وَلَا مَوْضِعَ اللَّبْنَةِ!»

قال رسول الله ﷺ: «فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبْنَةِ. جِئْتُ فَحَمَّتُ الْأَنْبِيَاءَ».

اصفرَّ غُصْنِي وَبَدُرُ الْعَيْنِ لَمْ يَنْمِ	إِذْ بَاتَ يَدْعُو لِتَشْرِقَ خُضْرَةُ الْكَلَمِ
يَا لِحَنِّ كُلِّ حَرِيرٍ صَاغِ شَرْنَقَةٍ	غَنَتْ فَرَاشَتَهُ فِي الظِّلِّ وَالظَّلَمِ
الْيَوْمَ أَسْتَنْزَفَ الرُّوحَ الَّتِي سَكَبْتَ	فِي قِبْلَةِ الْعَشْقِ مِسْكَاً قَدْ جَرَى بِدَمِي
فَاغْرُلْ حَرِيرَ جَنَانِي فِي قَطِيفَتِكُمْ	وَاجْذِبْ خِيوطَ وَجُودِي عَازِفاً بِفَمِي
دَعِ قَطْنَ رُوحِي مَهَادَ الْمَوْتِ فِي لَغْتِي	دَعِ وَرْدِي تَتَفَتَّحُ فِي سَمَاءِ الْعَدَمِ
صَحْنَا إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى اعْبُرُوا شَهْبَا	أَحْمَدُ يُوَدِّعُ ضِيَاءَ الْحَقِّ لَمْ يَقَمْ
اللَّهُ أَكْبَرُ صَلَاةُ الْعَشْقِ جَامِعَةٌ	أَسْرَرْتُ: إِلَّا مَ أَنْحَرُ فِي الصَّفُوفِ دَمِي
بِاللَّهِ أَيْنَ بُرَاقُ الْعَشْقِ يَحْمِلُنَا	لَمَّا أَرَادُوا اقْتِرَاعاً صِحْتُ فِي الْقَلَمِ
لَا لَنْ تَعِيدُوا كَظِيمَ النُّونِ لَا أَبَدَا	لَا قَرَعَةً بَيْنَنَا سَيْفُ الْهَوَى يَقَمْ
فِينَا تَرَدَّدَ صَدَى التَّكْبِيرِ فَانْتَظَمَتْ	أَرْوَاحُنَا فِي صَفُوفِ الْفَتْحِ لِلْعَدَمِ

إِنِّي وَقَفْتُ بِيَابِ اللَّهِ مَبْتَهِلًا:
يا صَفْحَةً مِنْ حَرِيرِ الشَّوْقِ تُرْعِشُنِي
سَافَرْتُ وَالرَّحْلَةَ اسْتَسَقْتُ مُحْيِلِي
رُوحِي تُدَارِي جِرَاحِي سَيْفُ كُلِّ شَعْفٍ
فَاحِ الرِّيعِ وَمَا انْسَاقَتْ رَوَائِحُهُ
أَصْبَحْتُ لَوْنًا رِبْعِيًّا شَذَاهُ يَفُوقُ
لَمَّا تَلَا شَيْثٌ هَاجَتْنِي مَنَازِلَكُم
لَمَّا تَحَرَّكَتْ فِي أَوْرَاقٍ وَرَدَتَكُمُ
غَنَّتْ فَرَاشَتَكُمْ أَيْيَاتٌ عَاطِفَتِي
شَرَعْتُ نَافِذَةَ الْقَلْبِ الرَّقِيقِ: رَأَتْ
إِنِّي أَرَاكَ بَنُورِ الشَّوْقِ وَانْفَلَقَتْ
الْعَيْنُ مَلَأَى بِدَمْعَاتٍ تَفْضُ حَزَنُ
سَبْحَانَ مَنْ أَرْسَلَ الْهَادِي إِلَى مَلِيٍّ

قَلْبِي تَفَكَّكْتُ تَمَزَّقُ صَارَ كَالْفَحْمِ
أَكْتُبُ عَلَيْهَا بِأَنِّي صِرْتُ كَالرَّمَمِ³⁸
حَتَّى تَرَى وَجْهَةَ الْأَنْوَارِ فِي الظَّلَمِ
بِالْقَلْبِ يُغَرِّزُ وَكَأْسُ الْمَوْتِ تَحْتَدِمُ
أَضْوَاءُ نَجْمِي تَلَاقِي بِرَعْمِ الْكَلِمِ
فِي بَاحَةِ الشَّوْقِ وَالْوَجْدَانِ فِي ضَرَمِ
هَاجَتْنِي اللَّوْعَةُ الْمَلْقَاةُ مِنْ قَدَمِ
إِنِّي اسْتَقَيْتُ عَطُورَ الْفِكْرِ وَالشِّيمِ
أَمْسَكْتُهَا وَلَثَمْتُ اللَّوْنَ بِالْقَلَمِ
عَيْنَاهُ حَبًّا يَفِيضُ الدَّهْرُ لَا يَنْمُ
عَيْنِي بِمَاءِ الْهَوَى الْعَذْرَى فِي الْحَلَمِ
أَيَّدُ أَيَّا خَالِقِي الْأَلْفَاظِ مَلَأَ دَمِي
أَبْدَى ضِيَاءً فَأَجْلَى عَتَمَةِ الظَّلَمِ

³⁸ الرَّمَم: جمع رَمَّة، أي العظم البالي.

حَبَّه يَضِيئُ سَمَاءَ الْقَلْبِ فِي نُزُلٍ
 وَالرُّوحُ بَاتَتْ بِجَنحِ اللَّيْلِ رَاجِفَةً
 فَالشَّوْقُ حَتَّى تَرَى الْمُخْتَارَ أَرْقَهَا
 تَمْتَدُّ أَخْلَاقُهُ فِي فَيْضِ سِيرَتِهِ
 وَصَفُ الْمَصَوِّرِ زَكَّى خُلُقَ مُرْسَلِهِ
 الْعَشَقُ يَقْطُرُ، يَذِيبُ الْمَاءَ يَصْهَرُنِي
 مَرَرْتُ بِالزَّمَنِ الْمَاحِي لِزَاكِيَةٍ³⁹
 سَادَتْ بِشَائِرَةِ الْأَكْوَانِ، أُنْجُمَهَا
 قَالَتْ لَهَا الْيَوْمَ كُلُّ بَانَ حُلَّتْهُ
 أَسْعَدَتْ كَوْنًا فَسِيحًا كُلُّ كَوَكَبَةٍ
 سَمَّحُ الْخِصَالِ، كَرِيمٌ فِي وَلَادَتِهِ
 هَذَا الْهَوَى مِنْ كُؤُوسِ الطَّيِّبِ مُنْبَعُهُ
 السَّهْمُ فِي كِبْدِي وَالرُّمُحُ مَخْتَرُ
 شَعَّتْ فَيَوْضُ لَأَنْوَارِهِ بِذِي الْأَمَمِ
 لَمْ تُغْنِهَا دَمْعَتِي وَاللَّهْفُ سَاقَ دَمِي
 رَاحَتْ تَسْطُرُ وَجُودِي شَعْلَةَ الْحِمَمِ
 تَكْفِي الْفَوَاتِحَ وَالْآيَاتِ فِي الْقَلَمِ
 خُلُقٌ عَظِيمٌ بِهِ الْأَخْلَاقُ تَسْتَقِمُ
 رُوحِي اكْتَوَتْ بِرَمَالِ الصُّفْرِ فِي الْحِلْمِ
 فَاسْتَيْقَظَتْ أَنْفُسُ تَحِيَا مَعَ الصَّمَمِ
 تَلَمَّعَ وَقَدْ لَاقَتْ الْأَجْرَامُ فِي الظُّلَمِ
 فَالْيَوْمَ مَوْلَدُ مَنْ لِلرَّسْلِ يَخْتَمُ
 فِيهِ تَنَازُعٌ كِي تَسْرِي مَعَ الْقَدَمِ
 فَكُلُّ كَوَكَبَةٍ أَبْصَرَتْ تَبْتَسِمُ
 يَصْفَى، وَفِي مَدْحِهِ فَالْقَلْبُ يَبْتَسِمُ
 قَلْبِي، فَقُلْ كَيْفَ رُوحِي لَا لَتَرْتَسِمُ

³⁹ زاكية: كناية عن الحنيفية، والحنيف هو التابع لملة أبينا إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

فاضت دُموعي وما جفت منابعها
والله إنَّ الذي يُحرِّم شفاعته
والله ما لي دواً يُلقى فيرئني
أفديكَ في كل نبضٍ، كلِّ مرحلةٍ
أرسلتَ في أمةٍ قد قدَّستَ صنما
قم يا محمد وجبريلُ يخاطبُهُ
جاءت خديجة. إلى من؟ لابنِ نوفلٍ إذ
توراة موسى هي الناموس⁴⁰ في يده
في الليل ما هرعت نفسك إلى فُرْشٍ
قد صدَّقوك ودوماً أمتنوك لهم
أهداك ربي منارات الهدى شُهبا
في كلِّ سابقةٍ أو كلِّ نادرةٍ
خيرُ الأنام وتبيانُ الكتابِ رؤى

الدمع في العين والمسفوك قطرُ دمي
يُسقى يقينا سمومَ الدَّمعِ والتَّدَمِ
سوى التلاقي بقلبٍ غير منقسم
حبُّك بمجرى دمائي ليس ينقسم
اللات تُعبدُ والعزى، مَناءة، قم
اقرأ، بعلمٍ تقم، قم لا إلى صنمٍ
تسأل عن الرَّوعِ يلبسُ واصل الرَّحِمِ
أحمدُ بإنجيل عيسى: نور كلِّ عمي
ترنو إلى أن تقوم الليل لا تنم
كيف الجنونُ لمن ينصح بلا سأمٍ
وضَّاءة والدُّجى بالنجم يتسم
كنت الصفيِّ بلا ثانٍ ليقْتَسِمِ
قد أخرجتنا ومن غياهب الظلم

⁴⁰ الناموس: الشريعة والدين.

حِينَ اذْهَمَّتْ⁴¹ بِرُوحِ الْخَلْقِ مُظْلِمَةً أُخْرِجَتْ مِنْ طَيِّبِ الْأَنْسَابِ لِلْأُمَمِ
تَخْفِقُ تَعَايِيرُ وَدِّ قَدْ تَعَلَّعَلْ فِي مِرَاةٍ فِكْرِي، يُصَوِّرُ فِي مَدَى الْكَلَمِ
وَالْأَرْضَ طَهَّرَتْهَا مِنْ كُلِّ طَاغِيَةٍ وَالزَّهْرَ نَادَى الدُّنَا هَيَّا لِنَبْتِمْ
أُمِّيَّةُ ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ⁴² اسْتَبَانَ هُدًى لَكِنَّهُ كَادَ أَنْ يُسْلِمَ لَذَا اسْتَقِمَ

⁴¹ المذْهَمُّ: الشديد السواد.

⁴² أُمِّيَّةُ ابْنِ أَبِي الصَّلْتِ، الشاعر الذي أسلم شعره ولم يسلم قلبه. جاء في صحيح البخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه «قال النبي ﷺ: أصدق كلمة قالها الشاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكاد أُمِّيَّةُ بن أبي الصَّلْتِ أن يُسْلِمَ». الحديث [3841، 6147]. وكان أُمِّيَّةُ ابن أبي الصَّلْتِ حنيفياً قبل ظهور الإسلام، وعندما ظهر الإسلام لم يؤمن بالنبي ﷺ حسداً منه، وقيل أنه كان يطمع في النبوة لنفسه. مات أُمِّيَّةُ ابن أبي الصَّلْتِ دون أن يسلم ومن شعره:

لَكَ الْحَمْدُ وَالنِّعْمَاءُ وَالْمَلِكُ رَبُّنَا فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْكَ مَجْدًا وَأَمْجَدُ
مَلِكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مَهْمِينَ لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ

تنويه: البيت الكامل للبيد بن ربيعة العامري هو:

أَلَا كُلَّ شَيْءٍ مَا خَلَا اللَّهَ بَاطِلٌ وَكُلَّ نَعِيمٍ لَا مَحَالَةَ زَائِلٌ
وَقِيلَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمْ يَذْكُرِ الْعَجْزَ لِأَنَّهُ نَعِيمٌ الْجَنَّةِ دَائِمٌ، أَمَا عَنْ لَبِيدٍ رضي الله عنه فَقَدْ أَسْلَمَ وَيَعِدُّ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ الْمَعْلَقَاتِ، وَقِيلَ أَنَّهُ قَالَ بَيْتًا وَاحِدًا فِي الْإِسْلَامِ هُوَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَأْتِنِي أَجْلِي حَتَّى لَبِسْتُ مِنَ الْإِسْلَامِ سُرْبَالًا

وادْعُ إِلَهَ ثَبَاتًا وَاصْبِرْ صَبْرًا قِيمًا
 تَلَأْلَأَ النُّورُ فِي سَاحَاتِ سَيِّدِنَا
 مِنْ حَوْضِهِ شَرِبَةً نَرْجُو لِنَعْرِفَهَا
 يَا رَبِّ وَارْزُقْ أَمَانًا فِي قِيَامَتِنَا
 يَا رَبِّ ثَبِّتْ قُلُوبًا تَرْجِي جَنَّةَ الْـ
 هُنَاكَ حَيْثُ مَلَاقَاةٌ لِسَيِّدِنَا
 فَاضِ الْحَنِينِ وَصَارِ الشُّوقِ يَأْسِرُنِي
 فِينَا تَجْلَى ضِيَاءُ الْحَقِّ مُتَقَدًّا
 فِي لَيْلَتِي هَمَسَاتٌ فَوْقَ خَاطِرَتِي
 فِي شِدَّةِ الشُّوقِ تُهْدِي نَسَمَةً عَبَّرَتْ
 هَلْ أَبْصِرُ الظِّلَّ قَرِيبِي دُونَ وَارِفَةٍ
 أَحْكِيكَ عَنْ خُلُقٍ بِاللَّيْلِ رَفَرَفَ بِي
 مُسْتَقْصِيَا عَنْ شَذَا رَسْمٍ وَآثَرَةٍ
 لَمْ الْعِشَائِرُ دِينًا لَيْسَ تَفْرِقَةً
 بَايَةَ مِنْ شَذَاكَمِ قَدْ مَضَى فَلَكَي

يَا رَبِّ لَا تُزِغِ الْقُلُوبَ فِي الظُّلُمِ
 لَا النَّفْسَ أَعْرِفَهَا، لَا الْعُرْبَ مِنْ عَجَمِ
 فِي لَحْنِ شَوْقٍ إِلَيْهَا الْكُلُّ بَاتَ ظَمِي
 يَوْمَ الْوُقُوفِ إِذَا الْأَهْوَالُ تَصْطَدِمِ
 فِرْدَوْسٍ دَارًا وَأَسْبَغَ حِلَةَ النِّعَمِ
 وَرَسَلِ رَبِّي، أَصْلِي دُونَكَ سَأَمِ
 وَالصَّبْرَ دَاوَى الَّذِي عَانِيَ مِنَ السَّقَمِ
 شَعَّ الْهَدْيِ وَائْتَلَفَ فِي نَبْضَةِ النُّظْمِ
 تَدَافَعَتْ كَلِمَاتِي، كَالْمَطَرِ عَمِمِ
 أَوْطَانِ قَلْبِي، وَرُوحِي حَلَّقَتْ فُتْمِ
 ظِلَالٍ مَدْحَكَ ضَمَّنِي بِلا عَمَمِ
 لَمَكَّةٍ عَلَّيْ أَلْقَى أَرِيحَ دَمِي
 لَاقَتْ نَبِيًّا أَرَانَا الرُّشْدَ لَمْ يَنْمِ
 وَاللَّهُ وَاحِدٌ لِيُعْبَدَ دَعَاكَ مِنْ صَنَمِ
 يَسِيرُ بِي خَطَوَاتٍ فِي رُؤْيَى كَلَمِي

صبرُ الفؤاد لكى يصبرَ مخاطبُهُ
أغناكَ فى لوحةِ الأخلاق لا كَلِمَ
أبهى وأزكى الصُّورِ إِبصارَ طَلَّتِهِ
أغدقُ علينا إلهى كل مبهجةٍ
يا صورةً فى ثناياها تمامُ رُؤى
ربى أيا أنسَ من يجهلُ طرائقه
ربى أغثنى وأنجِدنى أيا سِندي
فى قبحِ نفسى جرت عيني وتسبقني
العينُ قد تُبصرُ الأجرامَ غارقةً
آه ولو تبصرين أحرفاً غرقت
صَلِّ على المصطفى من وُلدِ آدمَ إذ
حتى الورودِ تصلِّي، همسِ نغمتها
قلت أرأيتى، مؤسِّمُ الأشواق أحرقني
نجوى اشتياقي تدقُّ القلبَ لمسئها
بُشراك يا عشقُ قد أسلمتُ أجنتي

بقولِ ربِّ أبانِ الحقِّ للصَّممِ
أوصافه الصادق المصدق فى تَمِّمِ
تخبرُك عن مُرسَلٍ فى حلّةِ الحرمِ
للقلبِ والدِّينِ قلْ مستكملُ الدُّعْمِ
مصباحِ حبِّ توهجَ والسنن ابتسمِ
صَلِّتُ فى ساعةِ الإصباحِ والظلمِ
ربِّي أرخني، أتوقُ الليلَ لا أنمِ
دمعَاتُ رُوحى وقد قالت لي استقمِ
فى ثلثةِ الفلكِ الجارى بمقتسمِ
فى مدحِ من عطرَ الأخلاق بالشَّيمِ
صَلَّتْ ملائكةَ الرَّحمنِ ذو الكرمِ
أَحْجَلُ فؤادى، علمتُ النُّطقَ لا بَقَمِ
بالشوق ذاب فؤادى فى بحارِ دمي
وبعدُ سَلَّتْ سيوفُ الحبِّ تقتمِ
فانحرُ فؤادى لأزهرَ فى شذا الحرمِ

عشاق أحمد قامت حربنا وقضى
سيفي بأني سماوات الهوى العرم
لا زلت أمسك سيف العشق ما غمدت
قد رحت مقتفيا ظلا يسير عمي
ربي انتهيت الفتى المجنون مقتفيا
ممشى الخيالات كالذكرى التي تُرم
آه وكم شفني⁴³ عرفان باقتنه
حتى سبقت خطي الأفلاك في الظلم
يشهد على صدقه خاتم⁴⁴ نبوته
الشوق داخل قلبي صار متقدماً
لظى الحنين أسرت كل مُحْتَدَم
حتى كأن سماء الأرض راوَدَهَا
حب اقتراب إلى خدك لتبتسم
أسبغت ربي بخيرات وأعظمها
مُحَمَّد النَّاصِحُ الهادي ملا الأمم

⁴³ شَفَّ: نُحِفَ، ويقال أن الشخص قد شفه الحب أي أضعفه.

⁴⁴ خاتم النبوة: غدة حمراء كانت بين كتفي النبي ﷺ فيها شعرات مجتمعات بين كتفيه ناحية الكتف الأيسر. جاء في الحديث 3541 من صحيح البخاري: عن الجعيد بن عبد الرحمن قال: سمعت السائب بن يزيد قال: ذهب بي خالتي إلى رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله إن بن أختي وقع، فمسح رأسي ودعا لي بالبركة. وتوضأ فشربت من وضوئه، ثم قمت خلف ظهره فنظرت إلى خاتم النبوة بين كتفيه.

قال ابن عبيد الله: الحجلة من حجل الفرس الذي بين عينيه. وقال إبراهيم بن حمزة: مثل زر الحجلة.

حَطَّمَتْ مَعْنَى لِإِشْرَاكِ بَرَاثِنِهِ	غَطَّتْ سَبِيلًا لِحَقِّ كَانَ كَالْعَلَمِ
وَالْحُبُّ يَجْرِي بِدَرْبِ سَلٍّ سَاطِعَةٍ	لَا حَتَّ رَوَائِعُهُ، أَغْرَتْ نَدَى حُلْمِي
رَوْحُ تَزِينِهَا الْأَخْلَاقِ فِي رُتَبِ	تَرْقَى دَوَامًا رُقْيَى الذِّكْرِ لِلْكَلَمِ
الطَّارِقَاتِ ⁴⁵ عَيُونَ اللَّيْلِ فِي خَجَلِ	كَالْتَبْضِ حَيَّاهِ حَبِّ الْقَلْبِ مِنْ أَمَمِ
النَّاسِجَاتِ مَوَدَّاتِ النُّهَى حِجَجًا	خَاطَتْ سُرُورًا بِأَيْدِي الصَّدَقِ وَالذِّمَمِ
الْحَامِلَاتِ عَطُورَ الْوَرْدِ كَاسِيَةً	ثُوبِ الْمَوَدَّةِ تَحْمِلُ بَاقِيَةَ الْقِيمِ
حَتَّى كَأَنِّي أَرَى الْعَنْقَاءَ بِاسِطَةً	فِي الْجَوِّ أَجْنَحَةً تَأْخُذُ مَدَى حَلْمِي
أَوْ وَمُضَضَّةً لِلْفَوَانِسِ اسْتَقَّتْ قَبَسًا	مِنْ نَوْرِ عَاكِفَةٍ فِي اللَّيْلِ لَمْ تَقُمْ
يَا رَبِّ أَحْلِلْ لِمَنْ آمَنَ شِفَاعَتَهُ	يَوْمَ الْعُلُوفِ لِهَامَاتٍ وَلَا الْهَمَمِ

⁴⁵ الطَّارِقَاتِ: جمع الطارق، وهو النجم يظهر بالليل، وما أتاكَ لَيْلًا فَهُوَ طَارِقٌ.

المقام السابع: «يوقد من شجرة مباركة»

المناسك الوجودية في الخلوات الروحية

جاء في صحيح البخاري الحديث 6557: عن أبي عمران قال: «سمعت أنس ابن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يقول الله تعالى لأهون أهل النار عذابا يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنث تفتدي به؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهونَ من هذا وأنت في صلب آدم: أن لا تشرك بي شيئا، فأبيت إلا أن تشرك بي».

ربي تماديتُ والذنوب كالرُّجُم	ربي تماديتُ: أرجمُ من لظى جُرْمي
قد هبَّت الرِّيحُ فوق الروح فارتعشت	الرَّيح طَيِّبَةٌ، لا ترعشي بدمي
ربَّاه حَتَّام أبقى أدَّعي رشدا	ذاتُ الحقيقة تحتكُ سِتر مُلَتِّم
قد مرَّ عمر طويلٌ أدَّعي عبثا	ثوب الوقار وعلمنا يلتقي بفمي
اليوم قد صدأ التمثيل وانكشفت	عني الحجب لعبي ما عاد ينكتم
اليوم قد صدأت درعي هوت حلَقا	مكسورة ودثار الزيف ما التحم
ما حلَّ بي يا هيامَ الروح فانتشرت	أجزائها في لغات العشق بالكلم
اليوم أغزو سما العشاق أشطرها	اليوم أضربُ راياتي بلا دُعْم
عشقي تفجَّر وعشاقُ فما التحقوا	أحملُ إلى الحشر رايات الهوى بدمي
أي ربِّ إنَّ وجودي ضاق قافلي	يا لهف روعي وموعودي ابتدي عدمي

أَيُّوبُ نَاولَنِي كَأْسَ الشَّرَابِ يَقُلُ:
وَاللَّهِ لَوْ قَطَرَةٌ مِنْهَا سَتَصِغِقُنِي
مَا مَرَّ بِي عَاشِقٌ إِلَّا جَذَبْتَهُ كِي
رَبِّ اعْفُ كُونِي أَنَانِيَا إِذَا حَضَرْتَ
دَعْنِي أُغَيِّرْ عَلَى الْعِشَّاقِ حَضْرَتَهُمْ
الرُّوحُ فِي نَارِ إِبْرَاهِيمَ قَدْ نَزَلَتْ
رَبَّاهُ أَيَّ اسْتِعَارٍ قَدْ تَفَجَّرَ فِي
رَبَاهُ فِي نَارِ إِبْرَاهِيمَ مَا بَرَدَتْ
مَا سَرَّ عَاطِفَةً مَحْمُومَةٍ اتَّقَدَتْ
أَنْفَاسُ رُوحِي تَهَاوَتْ فِي بَرُوجِ هَوَى
إِنِّي هَوَيْتُ أَخَادِيدَ الْهَوَى جُرُفْتُ
رُوحِي انْتَهَتْ فِي مَهَاوِي الْعِشْقِ وَانْفَطَرَتْ
أَيُّ رَبِّ فِي لَحْظَةٍ هَبْنِي الرَّشَادَ لَكِي
كَالتَّجْمِ فِي عَتَمَةِ الظُّلُمَاءِ مَبْتَسِمًا
أَعْطَاكَ رَبِّي بَرِيقَ النُّورِ بَيْنَ يَدَيْكَ
أَشْرَبَ هَنِيئًا لَتَحْمَدَ جَمْرَةَ السَّقَمِ
رُوحِي اسْتَقَرَّتْ عَلَى الْحَانَاتِ لَمْ تَنْمِ
أَمْتَصَّ رُوحَهُ وَأَنْشُرَهَا عَلَى نَظْمِي
رُوحِي الشُّهُودَ لَتُفْقَدَ فِي الْفَنَاءِ تَهْمِ
أَفْرَغْ دِنَانًا سَقَتِ أَرْوَاحَهُمْ بِدَمِي
حَتَّى تَذُقَ بَرْدَهَا، مَنْ سَلِمَهَا تَقْمِ
بَرْدٍ تَنْزَلُ مِنْهَا وَاتَّحَدَ بِدَمِي
نِيرَانِ عِشْقِي قَدْ اشْتَدَّتْ عَلَى قَلَمِي
فِي الرُّوحِ رَاحَتُ تَبِيدِ الْعَقْلِ فِي الْكَلَمِ
أُغْرِقْتُ فِي شَرِّ يَهْوِي إِلَى الْعَدَمِ
رُوحِي وَوَاغَيْتُهَا فِي مَنْجَمِ الْحَمَمِ
آيَاتِ أَحْمَدَ عَادَتْ تَشْتَعِلُ بِدَمِي
أَدْرِكُ كَوَاكِبَ نَظْمِي فِي دُنَا قَلَمِي
كَالْبَرْقِ شَقَّ خَطَاهُ فِي السَّمَاءِ يَهُمِ
أَلْقَيْتَ ذَاكَ السَّنَا بِالْأَرْضِ لِلْأُمَمِ

أَلْقَيْتُهُ فِي يَقِينٍ بَعْدُ فَانْدَثَرَتْ أَسْيَادُ كُفْرٍ دَعَاةُ الْكُفْرِ وَالصَّنَمِ
 مِنْ كُلِّ مَعْتَقِدٍ ضَلَّتْ تَوَابِعُهُ طَهَّرَتْهَا أَصْبَحَتْ فَضْفَاضَةَ الرُّسَمِ
 نَاهِيكَ عَنْ رَحْمَةٍ تُعَلِّي مُحَاسِنَهُ الْبَدْرُ هَيَّجَ أَنْوَارًا لِتَزْدَحِمِ
 بِاللَّهِ مَنْ قَدْ يَضَاهِي حُسْنَ طَلْعَتِهِ قُلِ الْفَلَكَ ضَيَّعَ الْجُجْرَى لِيَنْفَصِمِ
 مَا أَنْشَدَ النَّابِغَةَ الْجَعْدِيُّ لَوْلَا⁴⁶ لَكُنِي خَالِصٌ بِالْحَبِّ لَا تُلَمِّ

⁴⁶ النابغة الجعديّ رضي الله عنه: الصحابي والشاعر، وأشهر قصائده هي الرائية. جاء في المطالب العالية لابن حجر بسند ضعيف في فضل النابغة: قال النابغة الجعدي: أتيت النبي ﷺ فأنشدته قولي:

وإنا لقوم ما نعود خيلنا إذا ما التقينا أن تحيد وتنفرا
 وتنكر يوم الروع ألوان خيلنا من الطعن حتى تحسب الجون أشقرا
 وليس بمعروف لنا أن نردها صحاحا ولا مستنكر أن يعفرا
 بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وإنا لنبغي فوق ذلك مظهرا
 قال: فقال النبي ﷺ: إلى أين؟. فقال النابغة رضي الله عنه: إلى الجنة. فقال النبي ﷺ: نعم، إن شاء الله تعالى. قال رضي الله عنه: فلما أنشدته ﷺ:

ولا خير في حلم إذا لم تكن له بوادٍ تحمي صفوه أن يكدرها
 ولا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرها
 فقال النبي ﷺ: «لا يفضض الله فاك». قال: فكان ﷺ من أحسن الناس ثغرا، وكان إذا سقطت له سن نبتت. انتهى. أما القصد من البيت هو قول النابغة في الرائية:
 تبعث رسول الله إذ جاء بالهدى ويتلو كتابا كالجرة نيرا

أدعو لألِقَاكَ إِنَّ الرُّوحَ واجفةٌ
 في زورقِ العشق أبحرْ دون أشْرةٍ
 لَمَّا تنهَّدَ قلبي في صدى كلمي
 يا نفسُ هل تصبرين؟ اليومَ سائلةٌ
 أسَّستَ دولةَ إسلامٍ توسُّعها
 قامتْ وهيئتها هزَّتْ جبابرةً
 في يومٍ هولٍ لقد خلدَ مقالتهُ
 ليت القيامة قامت عند مهلكه⁴⁷
 حتى تراك حبيبي الشوق ينكتم
 أدعو لأغرق في الأعماق أُستلم
 الحرف غرَّد: وشاح الروح ينسجم
 إشعاعَ نورٍ للقيّاه بلا غَمَم
 شقَّ الأراضِي كشقَّ الفائض العرم
 صِدِّيقُ أَمَّتِنَا حافظٌ بلا تُهم
 محمَّدٌ مات - غير الله من يَدُم؟
 بيت لمن صاحب المختار واعتصم

⁴⁷ بيت ورد في القصيدة التالية لأبو بكر الصديق رضي الله عنه:

أُمسْتُ هموم ثقال قد تأوَّبني
 يا ليتني حين نبئتُ الغداة به
 ليت القيامة قامت عند مهلكه
 ولستُ آسى على شيءٍ فجعتُ به
 كم لي ببعْدك من همٍّ يُنْصِبني
 كان المصطفى من الآفاتِ قد علموا
 نفسي فداؤك من ميثٍ ومن بدنٍ
 مثلُ الصخور عظامٌ هدَّتِ الجسدا
 قالوا: الرسول قد أَمسى مَيِّتاً فَقِدا
 صحاحاً ولا مستنكر أن يعفرا
 بعد الرسول إذ أَمسى مَيِّتاً فَقِدا
 إذا تذكَّرتُ أني لا أراك بـدا
 وفي العَفاف فلا تُعْدِلْ به أحدا
 ما أطيب الذكر والأخلاق والجسدا

قلْ أَيُّ قَلْبٍ رَقِيقٍ شَقَّ مَالِكُهُ	فاروقُ أَمَّتَا المِهَابُ فِي الكِتْمِ
رَفَقَا أَيَا عَمَرَ قَدْ رَصَّ أَمَّتَا	رَفَقَا أَيَا عِزَّةً فَاضَتْ وَلَمْ تَنْمِ
وَالْيَوْمَ فَاضَتْ دَمَوْعُ الْعَيْنِ تَغْلِبْنِي	حِينَ التَّذَكُّرُ لِحَالِ الصَّحْبِ بِالْحَرَمِ
هَوْلٌ تَجَلَّى وَدَمْعٌ عِنْدَ مَصْرَعِهِ	لَا الشَّمْسُ قَدْ أَدْرَكَتْ غُرُوبَهَا الْقَوْمِ
لَا النُّجُومُ أَدْرَكَ ذَاكَ الْيَوْمَ مَوْقِعَهُ	لَا الْبَدْرُ، لَا الْفَلَكَ السَّارِي مَعَ الْعَسَمِ
حَتَّى الْمَجَرَاتُ فِي أَكْوَانِهَا انْكَسَفَتْ	لَا تَعْلَمُ الْخُطْبُ مِنْ شَمْسٍ وَمِنْ سُدُمٍ ⁴⁸
أَقْمَارُهَا انْخَسَفَتْ فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ	خَيْرُ الْوَرَى غَادَرَ الدُّنْيَا أَيَا أُمِّي
أَبْوَابُ كُلِّ سَمَاءٍ شَقَّ مَصْرَعُهَا	وَاسْتَقْبَلَتْ أَعْظَمَ الْأَرْوَاحِ بِالْأُمَمِ
هَذِهِ فَلَا تَسْأَلُوا عَنْهَا فَطِيبَةُ	طَيِّبُ جَنَّاتِنَا، مُحَمَّدٌ وَرَدَةُ الشِّيمِ
لِلْمَوْتِ قَلْبٌ سَكَرَاتُ، رَوْحُ مَرشَدِنَا	تَصْعَدُ وَصَدِّقُ، فَهَوْلُ الْمَوْتِ كَالْعِلْمِ
دُنْيَا بَرَمَتْهَا تَبْكِي فَوَا أَسْفِي	أَيْنَ الْحَبِيبِ وَأَيْنَ الرَّاشِدِ الْقِيمِ
يَا عَيْنُ مَا تَحْبَسِينَ الدَّمْعُ مِنْهُمْ رُ	مِنْ كُلِّ عَيْنٍ وَقَلْبٍ بَاكِيٍّ بِدَمِ
لَا تَحْبَسِي الدَّمْعَ يَا عَيْنِي أَجَاهِلَةً	أَنَّ الْقُلُوبَ لَتَحْزَنَنَّ فِي رُؤْيِ الْأَلَمِ

⁴⁸ السُّدُمُ: جمع سديم، وهي أجرام سماوية متكونة من غازات وغبار كوني، ويطلق السديم كذلك على الضباب الرقيق.

٤٩
 إن أسفرت روحك الودَّ انتهى أملكُ في جذبِ قلبك وداعي الحبِّ مُكَنَّم
 أي عائشه: قَرَّبِي السَّوَاكُ⁴⁹ من يده طيَّبَ إلى آخرِ الأنفاسِ يا كلمي
 أسقيتني شربةً مسكِيةً ما انتهت مهما سقيتَ مُحِبًّا، بالأخيرِ ظمي
 إن تدعني النفسُ لبي القلبِ دعوتها مولاي فاغفرْ إذا كان الفؤادُ عمي

⁴⁹ جاء في صحيح البخاري الحديث 4449: «أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله عليَّ أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع بين ريقِي وريقه عند موته: دخل عليَّ عبد الرحمن ويده السَّوَاكُ، وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيتَه ينظر إليهِ، وعرفت أنه يحبُّ السَّوَاكُ، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فتناولته فاشتدَّ عليه، وقلتُ أليته لك؟ فأشار برأسه أن نعم، فليتنه فأمَرَه، وبين يديه ركوة - أو علبه يشكُّ عمرُ - فيها ماء فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات. ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى، حتى قُبض ومالت يده». وفي الحديث 4454 عن عبد الله بن عباس «أن أبا بكرٍ خرج وعمرُ يكلم الناس، فقال اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر. فقال أبو بكر: أما بعدُ من كان منكم يعبدُ مُحَمَّدًا ﷺ فإنَّ مُحَمَّدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿وما مُحَمَّدٌ إلا رسول قد خلت من قبله الرسل﴾ إلى قوله: ﴿الشَّاكِرِينَ﴾. [آل عمران: 144]. وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشراً من الناس إلا يتلوها، فأخبرني سعيد بن المسيَّب أن عمرَ قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرتُ حتى ما تُقَلِّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي ﷺ قد مات».

سالت دموع المحبين الذين خلّوا
في كل غمٍ أرى تحنو أناملكم
الحبُّ حبُّك يا ساقى الحياة شذاً
أثيبتُ إنَّ ثناء المرء صادقةً
هلاً دنوتُ قليلاً من شفاعته
النفس ترنو إلى الدنيا وزهرتها
أدعو إلهي، إله الخلق كلهم
عبّرتُ ألفاً من المرات وانبثقتُ
يا وردةً داخلي تسبّح ومدركة
في لحظةٍ لامستُ قلبي شرارُها
حين التّقتُ بنوايا الأنس بارقةً
غنّاء ترقى المدى، برّاقةً حجلتُ
حبّي يُصيغُ عباراتي فيغمُرني
يا ربّ صلّ على خير الورى ولقد
عانقتُها في سماء الشوق باسمه

حبُّ بلا دمعَةٍ توبُّ بلا ندم
تمحي أحاسيسَ خوفي بعدُ أبتسم
بيدي سبيل الهدى والخير للأمم
ترقصُ بخاطره في نسمةِ الكلم
هلاً هرعْتُ إلى الإصلاح في حزم
إنّ المنايا تكونَ الحتم بالرُّغم
أن يُنجنا من عذابٍ، صرخةُ الحِمم
من وردة الحب أبياتُ كستُ حلمي
أن الفؤاد بنار الوجدِ يختصم
أدركتُ أنّ رحيق الأنسِ يَحْتَكِم
سال اشتياق فؤادي وامتزجَ بدمي
من لمسة الحبِّ في الإشراق والظلم
صمتُ يُعبّرُ عن الإحساسِ بالقلم
تممتُ بالمصطفى شريعةَ الحِكم
أدركتُها في مدى الأرجاء والنعم

حين التقيتُ خيوطَ الفجرِ حانيةً
تألّأتُ في ثنايا الوزنِ مُبهجةً
ما ترسمينَ أيا أياتٍ ما صُوِّرَ
وهو الحبيبُ الذي يُفدى بأنفسنا
في صفحةِ الفكرِ إني مُمسِكٌ وهجا
في روضةِ القلبِ تزهو وردةٌ طربتُ
والحرفُ قربي أرى ترقصُ فراشتهُ
صلّتْ ملائكةُ الرَّحمنِ في نُزُلِ
في مسحةِ الفجرِ أشواقي تُسايِرُني
سلامٌ رُوحِي على خيرِ الورى، سندي
حين التقيتُ نجومَ الفجرِ في نُزُلِي
تألّقتُ أحرفٌ في ظلِ أزمِنَةٍ
قد آنستُ في بداياتِ الظلامِ رُؤى
حتى التقتُ في سمائي كل كوكبةٍ
سبحانِ ربي دواما، قُلْ تُردِّدها
مزجتُ كلَّ حروفي في صدى النِّعمِ
حيناً نظرتُ، خيوطُ الروحِ تبتسم
إن كان ربّ الورى أثنى على الكرمِ
ترخصُ له النفسُ في إشراقةِ العدمِ
من مدحِ سيّدنا قد شِعَّ في كلمي
بذكره، عطرها الفواحِ يبتسم
من وارفِ الظلِّ أَمَسَتْ في مدى النعمِ
صلى فؤادي فدامتُ نفحةُ القيمِ
تجري مع الحبِ في حسنٍ، تُريقُ دمي
صلى وسلّمَ عليه في مدى يُرمِ
عَصَرْتُهَا وَأَضَأْتُ الحَبَرَ في القلمِ
قد خلّدتُ رونقَ المختارِ في الحَرَمِ
من أُمْنِياتٍ تسامتُ في جَوَى الألمِ
بحمدِ ربيّ تسبّحُ دونما سأمِ
للخَلْقِ ألسِنَةً، تشفي من السقمِ

روحى تشرَّبَتِ الأشواقَ في الحُلُمِ	ذاب اشتياقُ فؤادي فوق أجنحتي
تَقَطَّعْتُ في رَجَا وَصَلٍ هنا يُرَمِّمُ	في كأسِ صادقَةٍ أوصالٍ ساجِدَةٍ
زادتْ شرارُهُ، أَمْسَيْتُ في الحرمِ	أَيَّانَ ترتاحُ رُوحى في لظى لَهْوَى
أَرَسَى الفؤادَ كسيرا دونما حُطَمِ	حتى أَقْلَلْ أَشواقاً تَهَيُّجُهَا
في شدة الحبِّ ما تَوَقَّى بِمُنْحَسِمِ	شَقَّتْ تفاصيلَ وجداني بَرَقَّتْهَا
روضَ الهدى، وردةُ الإيمانِ تُعْتَصِمِ	حينَ التقيتُ بدربِ الوِدِّ أُرشدني
حَلَقْتُ مِنْ نَسْمَةٍ هَبَّتْ بِذا الوَحَمِ	حينَ اشتممتُ أريجاً فاحَ مُرتِعِشاً
العرقُ ينبضُ نارا سَعَرَتْ كلمي	أَوَّاهُ مِنْ جسدٍ كُبِّلَتْهُ مَسَدَا
ليلاً تشظتْ لَتَقْمَرٍ في صدى نغمي	حَلَقْتُ مستعرا أنسامَ خاطرتي
لا، لا وبالأَمْسِ يُعرفُ راعي الغنمِ	قالوا محالٌ لأن يُرْسَلَ لكم بشرٌ
إنَّ الجميلَ اصطفَى المختارَ للأُممِ	موتوا بغِيظِكُمْ موتوا بغِيظِكُمْ
من منبعٍ قد أَبَانَ الحقُّ مِنْ ظُلَمِ	في كلِّ مظلمةٍ أنوارهُ انفلقتْ
حتى تَفِيضَ سُطُوعاً في مَدَى الكلمِ	من ذلكِ النورِ رُوحَ النَجْمِ فالتَمَسَتْ
قد حُلِّدَتْ صورةُ الإسلامِ في الأُممِ	يا صورةً للهدى والمصطفى أبدا
أنوار هديهِ لتتروى خيرةُ الأُممِ	ربي بجاهِ المقامِ الأحمديِّ أَفْضُ

المقام الثامن: «زيتونة لا شرقية ولا غربية»

الأسفار الروحية إلى الحقائق المملوكية

جاء في سنن أبي داود باب في المزاح الحديث 4999: عن النعمان بن بشير، قال: استأذن أبو بكر على النبي ﷺ، فسمع صوت عائشة عاليا، فلما دخل تناولها ليلطمها، وقال: ألا أراك ترفعين صوتك على رسول الله ﷺ، فجعل النبي ﷺ يحجزه، وخرج أبو بكر مغضبا، فقال النبي ﷺ حين خرج أبو بكر: «كيف رأيته أقذتني من الرجل؟» قال: فمكث أبو بكر أياما، ثم استأذن على رسول الله ﷺ فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلا في سلمكما كما أدخلتاني في حركما، فقال النبي ﷺ: «قد فعلنا، قد فعلنا».

* ملاحظة: ورد في التعليق على الحديث: قال عبد الحق الدهلوي: اللطم ضرب الخد بالكف وهو منتهي عنه، ولعل هذا كان قبل النهي، أو وقع ذلك منه لغلبة الغضب أو أراد أن يلطم.

بارك إلهي طيورا تفتدي قلمي	دعها تغني لتطلع نجمة الكرم
داوود حرر طير الروح فاجأها	احمد بأفصاص عشقٍ ثغرها ابتسم
الروح ذابت حديد الطين منصهر	عجل وعجل أيا داوود سرد دمي
بالله سو حديدي حلقة، دسرا	واخرق وجودي لأولد في سما العدم
إني سفينة نوح، فاركبوا وثقوا	أهبط على بركات الله في الأدم
أسررت إلام صرث الخضر أخرجها	لا بحر لي فقراري آية العدم
إني سفينة نوح، حوت يونس إذ	في عشقكم غارق أهوي إلى عدمي
قد صرت في كنف المعشوق جوهرة	تلاأت في ثناياها رؤى الحلم

والروح ترسل تحايا بت أرمها
خاطبتها قائلًا: تدرين ما وجعي
تدرين أني امتزاج ساحر لأم
القلب في لحظات الوجد ملتهب
والنبض في غمرات الخوف معتصر
إني غريب أيا ربي وأجنحتي
يا خالقي، يا إلهي الشوق يأسرني
قد شف قلبي ضياء العشق تظهره
ضياء فانوسه أغرق ضياء شهبي
سبحان من صوّر المختار في عصم
آياته تَمَّتْ ذا قبل مولده
مولاي، رقت بيوت الشعر في نُزُل

في صفحة العين سرّا كان من قدم
تدرين نجوى فؤادي في سما النظم
يثنى بدعوة قلب واجف النعم
يرنو إلى قطرة تُنسي روى الفحم
يدعو لأجل سَكينة ليبتسم
تُخَفِّقُ بخوفٍ وأرجو فرجة الغم⁵⁰
في نسمة الصبح طيري مبرئ الذم
مرآة روعي بنور الحرف في النعم
حتى استكانت طيور الحب للكلم
سبحان ربي وذا في الحل والحرم
روح الدنا سطعت في دارة الرحم
للوصف، ما أدرك الألف من القلم

⁵⁰ الغم (جمع غمة): الكرب.

صَلَّتْ عَلَيْهِ شَفَاةُ الْخَلْقِ فَابْتَسَمَتْ
يَاقُوتَةُ فِي حَنَايَا الدَّهْرِ بَارِقَةٌ
أَوْ فَيِضُ نَوْرٍ تَجْلَى طُهُرُ مَنْبَعِهِ
مِنْ آيَةِ السَّيْرِ فِي ظُلُمَاءٍ دَاكِنَةٍ
الْكُونِ ضَاقَ عَلَى خَيْرِ الْوَرَى حِجَجًا
جَبْرِيلُ كَلَّمَهُ فِي أَمْنِ خُلُوتِهِ
اقْرَأْ، فَبَاتَتْ تَنْيرُ الْقَلْبَ شُعْلُهَا
يَا نَفْسُ فَالْتَمِسِي الْمَعْنَى لِتَرْتَعْشِي
أَرْسَلْ سَلَامِي وَتَسْلِيمِي بِيَارِكِهِ
صَلَّى وَسَلَّمْ عَلَيْكَ اللَّهُ فِي رُتَبِ
يَا مَنْ رَسَمْتَ تَبَاشِيرَ الْهَدَى فَرَحًا
يَا مَنْ كَسَوْتَ نَوَايَا الرُّوحِ طَاهِرَةً
الطَّيْرِ فِي صَبْحِهَا تَزْهَوُ وَشَادِيَةً
أَوْتِيَتْ آيَاتِ قُرْآنٍ نَبْجُلُهُ
آيَاتِهِ رُتِلَتْ وَالْخَلْقُ أَلْسُنُهَا

مَخْتَارُ رَبِّي، ثَنَاءُ اللَّهِ فِي الْقَلَمِ
فِي رَجَّةِ اللَّيْلِ تُسْكِنُ شِدَّةَ الْأَلَمِ
يَلْتَفُّ بِالْقَلْبِ شَعْتُ بِسْمَةِ الْقِيمِ
فَالنَّجْمُ سَبَّحَ وَبَدَرَ الْهَدَى لَمْ يَنْمِ
حَتَّى أَتَى وَحْيُ رَبِّي فِي الْمَدَى الْعَمَمِ
اقْرَأْ، وَقَدْ رُسِّمْتَ فِي خَيْرَةِ الْأُمَمِ
اقْرَأْ، وَصَيَّةُ رَبِّ الْعَرْشِ ذُو الْكَرَمِ
مَنْ هَوَّلَهَا، آيَةُ الْقُدُوسِ فِي تَمَمِ
رَبِّي وَتَقَطَّرَ عَطُورُ الْحَبِّ فِي الْحَرَمِ
عِلْيَاءُ: سَبَّحَانَ رَبِّي مُظْهِرَ الْكَرَمِ
يَا مَنْ أَزَلْتَ حِجَابَ الْكُفْرِ مِنْ قَدَمِ
يَا مَنْ تَسَامَى بِخَلْقِ ظَاهِرِ الْعِلْمِ
لَكِنَّ أَعَذَبَ قَوْلٍ خَيْرَةُ الْكَلَمِ
فِي كُلِّ حِينٍ، وَلَيْسَ الْخَيْرُ يَنْفَطَمِ
قَدْ سَبَّحْتَ خَالِقَ الْأَكْوَانِ ذُو الْكَرَمِ

قام الحبيب يصلي: غافراً لمست
 لا ليس شعراً ولا جنّاً تقوّله
 سبحان ربي الذي أهداك فاتحة⁵¹
 من قطرة الأمل الطاهر نفاثته
 فهو الصفي بديع الخلق ما التفتت
 كذاك صاحبه الصديق في سكن
 قد أبعثت عنهما شراً أحاطهما
 لابن المغيرة قلباً بالعنت رجم
 رطب اللسان وحلّ القول والكلم
 يا خاتم الرسل قد بلغت في تم
 خير الورى ومسيل الدمع ما انكم
 عيناه للباطل الملقى بلا عصم
 في الغار: قلت يد الرحمن يا قلبي
 سبّحت ربي بحمدك فانجلت ظلمي

⁵¹ جاء في جامع الترمذي الحديث 2875: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ خرج على أبي بن كعب فقال رسول الله ﷺ يا أبي وهو يصلي فالتفت أبي ولم يجبه وصلى أبي فخفف ثم انصرف إلى رسول الله ﷺ فقال السلام عليك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ وعليك السلام ما منعك يا أبي أن تجيبني إذ دعوتك فقال يا رسول الله إني كنت في الصلاة قال أفلم تجد فيما أوحى الله إليّ أن ﴿استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم﴾ قال بلى ولا أعود إن شاء الله قال أتحتب أن أعلمك سورة لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها قال نعم يا رسول الله قال رسول الله ﷺ كيف تقرأ في الصلاة قال فقرأ أمّ القرآن فقال رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده ما أنزلت في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في الفرقان مثلها وإنها سبع من المثاني والقرآن العظيم التي أعطيته.

في كأس عشقي أذيت نجمة انبلجت
 يا من أضاء سناه كل قاصية
 أنت الشفيع وأنت المصطفى رُتبا
 فاحت شمائله كانت مُعطرةً
 ألقى عليها سلام الروح فارتسمت
 ما شأنكم إن إلهي كان مجتبياً
 ربي اصطفاه به الرحمن أكرمنا
 قد هلهل الكون والإصباح في نُزُلِ
 الكل من نورك المبهج فمبتسم
 حرّرت أرواحنا من ظلمة طغيت
 كن يا محمد، فكان النور منسجماً
 قد أزهّرت وردة الأزمان في فلكِ
 سالت دموع اشتياق في منازلِه
 نار اشتياقي قد اشتدت حرارتها
 روح السكينة في أوطانها انفلقت
 من قطرة الدمع في فضفاضة الكلم
 آتاك ربي مفاتيح النعم، نعم
 يا من له خلُق القرآن في تم
 أجواء ترنيمه الإصباح والظلم
 في لحظة انبعثت إشراقة العصم
 إياه وهو صفّي الخلق والشّيم
 إن يلمع النّجم صلّى في مدى القدم
 لمّا وُلدت ودقّت فرحة النّسم
 القلب صلّى وسلّم يا مدى الكرم
 فيها الضلالات، يا هادٍ ولم تنم
 في لوحة أبهجت أنظار كل عمي
 يجري، بُعثت أيا نورا لنبسم
 الشوق يُكبّت وفي الأعماق كالحمم
 والنبضُ يشتدّ في الأعماق يا كلمي
 نورا بدا لمسة الألمان في الكلم

الجذعُ كان بكاك⁵² القلبُ مصطبّرُ
 حنّت إليك قلوبُ سيّد الكرم
 تعمى القلوب ولا يعمى البصرُ أبدا
 قل واحدُ ربّنا، ذي درّة الأمم
 سبحان ربّي الذي أعطاك بارقةً
 لن تحتفي، برقت في كل مُلتئم
 أغرمتُ يا طيبةَ العشقِ الغرامَ لظى
 سبحان ربّي، سأغرقُ في لهيب دمي
 في موسم العشق يزهو أقحوانك في
 روعي فتخطفُ وجداني رُؤى حلمي
 إني وعيتُ خصال الوُدِّ شاملةً
 تدرين معني طيوري في رُؤى الدِّيم
 لا وردة في مضغة القلبِ الحَلِيِّ أبت
 تفُتُحا إن أشادت رونق اليُتم
 أحملك في داخلي، تُروين من عطشي
 أهديك في روضةِ الوجدانِ كل دمي
 أمدحُ خصال حبيبي في رُؤى سَطَعَتْ
 في نسمةٍ عَبَرَتْ: نبضي حديثُ فمي
 قلبي سجينٌ حنينٍ شقَّ كلَّ نفسٍ
 ترعاك يا قلبُ عينُ حال أن تنم

⁵² جاء في الحديث 3584 من صحيح البخاري: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما «أن النبي ﷺ كان يقوم يوم الجمعة إلى شجرة أو نخلة، فقالت امرأة من الأنصار - أو رجل: يا رسول الله ألا نجعل لك منبرا؟ قال: إن شئتم. فجعلوا له منبرا. فلما كان يوم الجمعة دُفع إلى المنبر، فصاحت النخلة صياح الصبي، ثم نزل النبي ﷺ فضمه إليه، يئن أنين الصبي الذي يُسكن. قال: كانت تبكي على ما كانت تسمع من الذكر عندها».

يُلْقَى حِينِي بِأَوْقَاتِي لِأَعْبَقَ فِي
إِنْ زَارَتِ الرُّوحُ ذِكْرِي فِي مَوَاطِنِكُمْ
تُشْتَقُّ مِنْ قَبَةِ سَحْرِيَّةٍ اسْتَلَمْتُ
تَنْشَقُّ مِنْ قَبَةِ خَضِرَاءٍ عَاطِرَةٍ
هَلْ أَنْتِ نَاقَةٌ صَالِحٍ مَبَارَكَةٍ
إِنْ أَقْبَلْتُ رِيحُهَا أَلْقَتْ بِوَادِرُهَا
عَبْرَ السَّيِّدِ⁵³ قَدْ انْسَلَتْ يُبَارِكُهَا
فِي مَسْحَةِ الْفَجْرِ تَرْقُصُ كُلُّ كَوْكَبَةٍ
صَاغَتْ أَحَادِيثَ رُوحٍ شَقَّهَا وَلَهُ
حَتَّى تَتَأَلَّتْ نَوَايَا الْبَشَرِ فِي مَدَدٍ
يَا بَرْدَةً زَلْزَلَ الْوَجْدَانُ كَوْكَبَهَا
قَدْ بَاتَ يَلْمَعُ يَرِيكَ الْمَسْكُ مَشْتَمَلًا
رَبِّي تَلَا شَيْئًا، أَجْزَائِي مَبْعَثَرَةً
رَوْضَاتِ حَبِّكَ لَا أُدْرِي شِفَاءَ فَمِي
أَشَجْتُ فَوَادِي أَرَاقَتُ فِي الضِّيَاءِ دَمِي
فِي عُمُقِ الْخُرْهَا نُورًا عَلَى الْعِلْمِ
تَمْتَازُ عِبْرَ رِيَاحِينَ الْهَدَى ابْتِسَمَ
تَسْقِي مَعَانِي هَوًى يَهْتَاجُ فِي كَتَمِ
آيَاتِ حَبِّ بَدِيعِ سَارٍ وَاضْطَرَمَ
رَبِّي وَفِي رِقَّةِ الْإِحْسَاسِ تَنْسَجُمُ
تَرَأْفُصَ الْفِكْرَةِ الْمُلَقَّاةِ فِي الْكَلَمِ
فَانْشَقَّ فِينَا نَزُولُ الْحَرْفِ بِالْغَنَمِ
حَنَّتْ فَصُولَ حِكَايَاهُ إِلَى الْقَلَمِ
مَا قَدْ كَسَرَتْ كَيَانَ الرُّوحِ فِي الظُّلَمِ
أَلْوَانُ كُلِّ رَحِيقٍ ذَابَ مِنْ أَلْمِي
رُوحِي تَوَسَّلْتَ الْمَنَّانُ فِي الظُّلَمِ

⁵³ السديم: في السياق الضباب الرقيق.

ما انْفَكَّتِ الروح في الظلماء سائلةً
 صلى الفؤاد وما شَدَتْ يمامتها
 صلى الفؤاد وأطيار تَرْمُهَا
 ما حَلَّقَتْ في رياضِ الأنسِ وانتقلت
 سبحان ربي إذا نفسٌ تطاوَعُنَا
 نرجو لمغفرةٍ تُرسي الفؤاد ندىً
 يا طيبةً لامست رُوحِي نسائمها
 من قطرة الحب ألقاها مُهلِهَةً
 مرآة عشقي أفاضت صورةً سطعت
 قلبي استباح أمانِي الودّ في صُورِ
 لا ليل أليُّله لا صبح أُصبحه
 هيا وحيّ على العشق الذي استعرت
 إنا شهدنا بأنّ لا عشقَ قام بنا
 لا درب يرشدنا إلا دروب هوى
 ذاتي انمحت في هواكم غاب معلّمها
 أن تلتقي خير خلق الله كلهم
 تسليمها في ثنايا الحبّ والحلم
 بمجتبى خالقي الذي هَدَى كلمي
 أصداء ألحائها في طيبة الكرم
 للذنب، يا سندا في ساعة الندم
 يَقْطُرُ على صفحة الوجدانِ في تمّم
 حطّت فراشتها، حطّت ولم تحم
 رفّ الجناح فكاد القلبُ ينقسم
 قلبي يحرك شفاه اللفظ لا ينم
 لاحث كفاية سارت على النعم
 قد سار عشق بنا، لا وقت قد يقيم
 نيرانه في عروق الروح والأدم
 إلّاك يا أحدا، لولاك لم نقم
 ضلّ الجسد ولقاء الروح فاستلّم
 والروح من فصلها الشفاف لا تقم

أفتكُّ من صورة الأكوَانِ مشهدها
يشرقُ شُهُودي على قُدسيّة النعم
ذاتي ارتقت في فناءٍ وانبريتُ رؤى
لا شاهداً أشهدُ المشهودَ من قدم
جسدتَ فيّ مرايا العشق قاطبةً
أيّاً يكن ناظري أنت الذي يُقم
أوراقُ تيني وزيتوني هوت وفنت
سبّحت يا مُوجدي يا واجدَ القلم
إني تعشّقتك الدنيا وما عشقت
روحي سواك فحينّ سكرةَ العدم

المقام التاسع: «يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسه نار»

التجليات الفيضية في المكاشفات الغيبية

جاء في السنن الكبرى للنسائي الجزء السابع الحديث 7691: قال النبي ﷺ: «ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاعه». وكان رسول الله ﷺ يقول: «اللهم مقلب القلوب، ثبت قلوبنا على دينك، والميزان بيد الرحمن، يرفع أقواما، ويخفض آخرين إلى يوم القيامة». وجاء في سنن ابن ماجة الحديث 4031: عن أنس بن مالك، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «عظم الجزاء مع عظم البلاء. وإن الله، إذا أحب قوما ابتلاهم. فمن رضي، فله الرضا، ومن سخط، فله السخط».

العشق ينهلّ في إشراقة الختم	إني أفور وأغلي في فُـدور دمي
سايرتُ عشقي، على أصداءه أقم	آهٍ إلى أين أمضي والفنا يُرم
من صورة الكون إنّي أنمحي وأغب	إذ أنعكس في مرايا الروح لا أنم
قد ذبتُ والحمأ المسنونُ منصهرٌ	العشق منسكبٌ طوفانه بدمي
لا قدرةٌ بقيت للطين وانتشرت	روحي على طرقاتِ العشق لم تقم
إني ظللتُ بكأسي هائما ثملا	لم يتدبّر عمُري فالعشق لم ينم
أي حيدرة صُبّ في كأسي مخامر	حتى تجيء قريشٌ تستبيح دمي
أي آل بيتٍ حبيبي لن أغادركم	الكأس قربي وسيفُ العشق في قلبي
ما سرّ فرشاةٍ عشقٍ لَوْنَتْ مُقلبي	ترسمُ محيا سـماواتي وتبتسم

في أي روضٍ زهتُ أغصان قافلتني
 ما السرّ في أصلها، في أي حُضرتها
 أمضي على حجبٍ ربي يباركها
 الروح في كبدي مغرومة وهوت
 يا بارئ مسك عشقي لحن أمنيّتي:
 الله الله الله ضياء قافلتني
 إني توسلت بالإصباح والظلم
 مجد الحبيب تجلّى قبل بعثته
 إنّي بحقّ حبيبي قد ظللتُ أسأل
 ربّي: بحقّ شذاً يختال روضته
 وسيلتي احمدٌ، أقمار سيرته
 فارحم بحقّ هواهم مهجتي، سندي:
 ربّي بحقّ النبي وآله فأزل
 ربي بحقّ عبيرٍ راح يعبقُ في
 واستجدت الروح باريها بحقّ ضياء

حتى نمتُ وشذتُ في الحِلِّ والحرم
 ما سرّ وجهٍ صبيحٍ بات يحشّم
 أنوارها شذراتُ عانقت كلمي
 صاح الكبد والرماد اخضرّ فوق دمي
 محبوبيّ الأزلي أشتاقُ أستقم
 سلّم وسلم وسلم ولا تنم
 ربي بجاه حبيبٍ لا تردّ ظمي
 باركت يا خالقي الأنوار بالكرم
 روعي توسّلت المنان في الظلم
 قلبي توسّل فلا تُردّي دعاء ظمي
 قلبي انتهى ومدارُ العشق يُلتزم
 من لي سواك؟ أيا ربّي أغث حلمي
 عنا الغشاوات واغفر ذنب كلّ عمي
 بُدورٍ عبّته ضمّد سيول دمي
 أوطانه في المقام الأحمدي تُرم

لا زال دمعي بيباب المصطفى وجلاً
 يا ربّ إني توسلت الدنا بشذاً
 رحماك يا خالقي، هذا الهوى قدرُ
 في مقلّة القبّة الخضراء توقظني
 الروح لا تصمّ الآيات دافقةً
 أزهرت من فورة الأشواق ملتهبا
 ذابت على قمر الآيات صورتنا
 ما سرّ عاطفتي رقّت بخاطري
 أنت الحبيب وأنت الطهر قد بسمت
 واليوم باتت جفايني المضاجع لم
 والنوم ما ذقت في عقلي حلاوته
 لم أسسغ حلوّة الأحلام إن جفّلت
 لا غبت عن بسمّة الأفكار يا وهجاً
 رمت في صفحة الإسلام لؤلؤة
 بالدهر تصدّخ ترانيم لسيرته
 ربحان حجرتّه زكى حروف فمي
 يمتار في روضة الهادي ولم أنم
 ما بالها العين باتت تكتحلّ بدمي
 في فكر أحلامنا تبحر إلى الحرم
 أوّاه يا أحمداً ساد التّوى ودمي
 أرجو انفجاراً يزلزل نبضة الكلم
 تعبّق بخور تعيدُ الروح في القلم
 لاحت بأروقتي كالطيف في الظلم
 في طيف رُوحِي ثناياه لأبتسم
 ثغمض عيوني وجفني ذابل ودمي
 تشغل نواياي، أنت النور في كلمي
 عيني عن المصطفى والله معتصمي
 ربّي أضاء به أصفاه في القلم
 والله نفديك إن داعي الفدا يقيم
 تعبّق عطورك وتسقي زائر الحرم

أنت الذي عَجَزْتَ إدراك نَسَمته أيات شعري ومدحي صادقُ الكلم
إني كسَرْتُ كياني في حدائقكم حتَّى أُضِيءَ الشظايا في سما النُظُم
مُرْ يا مُجَدِّ لِيطْبُقْ أُخْشَباً⁵⁴ مَكَّة مُرْ يا ضياءَ يَنُوءُ النورَ في الحَرَمِ
ما قد رَضِي، آيةٌ تَسْمُو مَذاهِبُهَا ما قد رَضِي: دُعُ جِبَالِ الأَرْضِ لا تَلَمِ
يا صورةَ المجدِ في الإسلامِ خالدةً يا هاديا ينشُرُ الأنوارَ لا يَنَمِ

⁵⁴ الأخشبين أو الأخشبان هما جبل أبي قبيس وجبل قيعان. انصرف النبي ﷺ من الطائف راجعاً إلى مكة وهو محزون لم يستجب له أحد من أهل البلد، فلما بلغ قرن الثعالب بعث الله إليه جبريل وملك الجبال، يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما جبالان يحيطان بها. وجاء في الحديث 3231 من صحيح البخاري: عن ابن شهاب قال: حدثني عروة: «أن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: هل أتى عليك يوم كان أشد من يوم أحد؟ قال: لقد لقيتُ من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيتُ منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يُجِبني إلى ما أردت، فانطلقت. وأنا مهموم، على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لكوما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم عليّ ثم قال: يا مُجَدِّ، فقال: ذلك فيم شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً».

حَبْرُ الرُّجَاجَةِ إِنِّي قَدْ أَذْبَتُهُ فِي
 فِينَا تَطَّلَعَ بَدْرُ الْعَشَقِ فَاَنْكَشَفَتْ
 عَطَّرُ شَذَا رَوْضِكُمْ أَنْشُودَتِي وَمَضَتْ
 إِنِّي غَمَسْتُ السَّنَا فِي كَأْسِ حَبِّكُمْ
 لَمَّا تَمَّاهِي وَفَاءُ الْقَلْبِ وَاسْتَعَرْتُ
 حَطَّتْ أَيْدِي النِّسِيمِ الْحَرْفِ فَاشْتَمَلَتْ
 أَشْرَبَ كَوْوَسَ فِدَائِكُ كُلِّ مَرَحَلَةٍ
 أَكْتُبُ بِأَوْرَاقِ حَبِّكَ سِرَّ خَاطِرَتِي
 يَا خَالِقِي ارْحَمْ هُنَا ضَعْفَ النَّوَى وَأَفْضُ
 تَغْشَى الْفَوَادَ غَيُومَ الْهَمِّ يَا سَنَدِي
 حَتَّى تَكُنْ سَكَرَاتُ الرُّوحِ عِنْدَ غَدِي
 فِي سَاعَةٍ أَنْذَرْتُ قَلْبِي الرَّحِيلَ: أَسَلْ
 مِنْ مَوْسِمِ رَاعٍ إِحْسَاسِي وَفَاجِعَتِي
 عَطَّرِ الْأَحَاسِيسَ حَتَّى أَسْتَقِي كَلِمِي
 فِينَا السَّمَاوَاتُ يُتْلَى وَحْيُهَا بَدْمِي
 دَمَعَاتُ رُوحِي تَنَاجِي اللَّهَ فِي الْحَرَمِ
 حَتَّى تُوقِّدَ بِحَارٍّ مِنْ مَدَى كَلِمِي
 نَارُ اشْتِيَاقٍ، سَجَرْتُ⁵⁵ الْحَرْفَ فِي الْقَلَمِ
 رِيحُ الصَّبَا كَلِمَاتِ الشَّوْقِ فِي حَلْمِي
 أَسْقَى رَوَائِعَ أَخْلَاقِكَ وَلَا أَنْمِ
 وَاللَّهُ وَحْدَهُ لِيَذْرِي مَا كَتَبَ قَلْمِي
 مِنْ ذِي الْغَيُومِ سُيُولَ الْبِشْرِ وَالسَّلَمِ
 أَهْدِي الْبِشَائِرَ إِذْ بِالْهَمِّ أَصْطَدِمُ
 عَذُوبَةً تَطْرُبُ الْوَجْدَانَ فِي الْكُتَمِ
 أَرْجُو لِمَغْفِرَةِ اللَّهِ ذُو كَرَمِ
 أَقْطِفْ وَرُودًا وَثَغَرَ الْوَرْدِ يَبْتَسِمُ

⁵⁵ السجر: اختلف في تفسيرها واغلب معانيها هي الإيقاد، وفي سياق البيت تعني الإيقاد.

مَرَّ الرِّحِيْقُ إِلَى قَلْبِي هُنَاكَ سَرَّتْ
الْحَمْدُ يَا خَالِقِي فِي كُلِّ نَائِبَةٍ
جَسَّدْتَ فِي مُهْجَةِ الْوَجْدَانِ عَاطِفَتِي
صَوْتِي حَنُونٌ أَنَادِي طَيْبَةً: اسْتَمْعِي
رَبَّاهُ إِنَّ هُوَ أَحْمَدُ مُحْيٍ جَسَدِي
بَحْرِي تَفَجَّرَ، وَجُودِي الْيَوْمَ أَشْهَدُنِي
أَيُّ أَحْمَدِي عَاشِقُكَ يَذْوِي فَشُدَّ يَدِي
رُوحِي انْتَهَتْ حُطُوتُكَ، لَا، لَا لِتَسْحَقَنِي
عَصْفُورُ صَمْتِي لَيَرْقُصْ فِي جَنَائِنِكَ
صَوْتِي وَصَمْتِي تَجَلِّي الْعَشَقُ إِنْ أَذِنْتَ
قَدْ طَالَ صَمْتِي وَصَوْتِي فِي رُؤْيٍ شَغْفِي
وَاسْتَنْشَقْتَ كَلِمَاتِ الْقَلْبِ كُلَّ شَذَاءٍ
مُحِبُّوهُ الْقَلْبِ مَهْلًا فِي دِيَارِكَ لَمْ
يَا ضَحْكَةً فِي عِيُونِي لَا تَفَارِقَنِي
طَافَ الْخِيَالُ أَسْرَ الْعَيْنِ فَارْتَبَكَتْ

فِي دَاخِلِي رَعِشَةً سَحَرِيَّةً بِدَمِي
وَالشُّكْرُ يَا بَارِئِي فِي كُلِّ مُقْتَحَمٍ
كَيْنُونَتِي وَكَيْانِي طَائِرًا النَّدَمِ
صَوْتُ الْحَنِينِ تَرَنَّمَ حَالَ أَنْ أُنَمَّ
رُوحِي قَدْ انْتَشَرَتْ ذُرَّاتُهَا بِدَمِي
فِي طَيْبَةِ الرُّوحِ تَقْطُرُ فِي خَطَايِ الْقَدَمِ
شُدَّتْ رَحَالِي وَلَا تَكْوِينُ فِي الظُّلَمِ
دَعْنِي غَبَارًا وَبَارِكْ بِرَدَةِ النِّعَمِ
حَدَّثْتُ بِقَلْبِي شِفَاهَ الْعَشَقِ مَلَأَ فَمِي
أَحْرَفُ لِسَانِي أَبْوَحَ السَّرِّ فِي كَتَمِ
إِنِّي بِبَطْءٍ لِأُرْوِي نَغْمَةَ الْكَلَمِ
يَنْسَابُ عِبْرَ شِعَاعِ الْفِكْرِ لِلْقَلَمِ
أَطْفَأُ شَمْعِي أَذْيِبُهَا بِلَوْنِ دَمِي
ذَكَرَكَ ذَكَرَكَ طَيْفُ زَارٍ مِلْتَمَعِي
أَغْمَضْتُهَا وَالتَّقِيْتُ الطَّيْفَ فِي الْحَلَمِ

لكنني لم أقدرّ وردة الحلم	عيناك تنطق بالتقدير في زمني
عيني دموعك والأحزان تضطرم	لما تعالى هديلٌ للحمام بكث
دعني لأحيا بقربك أنت ذو كرم	يا خالقي أحي قلبي من ندى كرمك
ما نمت إذ أختبئ في يقظة الحلم	إني أباري ظلال الليل في سهد
ربي أناجيكَ: عطر الضعف في القلم	إني بحرّ دموعي أحترق وأذب
دمعاً عيني فلا أنفاس قد تقم	أذنبت يا خالقي رحماك: تغلبي
في الركن مرتكن أبكي بلا سأم	يا ربّ أنت تراني ينقطع نفسي
أحي كطفلٍ إلى الأسوار والدُّعم	تغلي دماء عيوني في وعاء ندم
مُدّت يداي وقلبي مضطرب ودمي	أبكي وأدعو لعفو منك مستحيا
حولي تدور جناح العطف يُستلم	حرّرت أطيّار قلبي حلقت بفرح
هناك قد سكن الجناح في عصم	أرشدّني يا إلهي خير أمكنة
حتى لمحت أراضِي الطيبِ تبتسم	شوق الفؤاد لقد أوصلته المنتهى
ربي يباركها حلّقت للحرم	هيا ارفعيّني وطيري بي لأمكنة
إلى المدينة آوت سيّد الأمم	قلبي يُعبّر ويعبرُ عبرَ حبكم
حتى ترفرف بأرضك دونما غم	يا طيبه استمعني: تشتاق أجنحتي

يا زهرةً قد تَضَوَّعَ عطرها زمنا
قد قلتِ ذا المصطفى قد أمّ في الحرم
إني أحنّ إلى لقياه كلّ مدى
لحن الكآبة مُنْكَبٌّ فلا يقيم
من مكة هاجرتُ نفسٌ تعلُّقُها
بالواحد الأحد الجبار ذو الكرم
في تربتك شيد المختار بارقة
يا طيبة الطيبة اشتقتِ الدنا، فأتى
هاجرٌ إليك حبيبي قلتِ يا فرحي
يا بهجتي: وطئتُ أقدامه جَفَنِي
نورَها يا رسول الله فانفلقت
سبحان ربي: يسير النور بالقدم
روحي فليس لها سواك هيّجها
من صورة الأرض كالنجمات في الظلم
ودّعتُ دنيا وما فيها لأجلك إذ
شوق رقيق، منهاها طيبة الكرم
إني أخِرُّ أقبل كلّ كائنة
عِشي بطيبة تقبيل الثرى حلمي
قبلتُ كلّ ثرى قد كان من شرفه
حتى أبرد شوقاً يستبيح دمي
في الروح معناه منسوج يشعّ هدى
أن احمد المجتبي حيّاه بالقدم
خير البرية فيه الطهر ينسجم

المقام العاشر: «نور على نور»

المنازل الفردوسية في الفناءات الشهودية

جاء في الحديث 2577 من صحيح مسلم: عن أبي ذرٍّ، عن النبي ﷺ، فيم روى عن الله تبارك وتعالى أنه «قال: يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً. فلا تظالموا. يا عبادي! كلّم ضالّاً إلا من هديته. فاستهدوني أهدكم. يا عبادي! كلّم جائع إلا من أطعمته. فاستطعموني أطعمكم. يا عبادي! كلّم عارٍ إلا من كسوته. فاستكسوني أكسكم. يا عبادي! إنكم تخطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً. فاستغفروني أغفر لكم. يا عبادي! إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني. ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم. كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم. ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم. كانوا على أفجر قلب رجل واحد. ما نقص ذلك من ملكي شيئاً. يا عبادي! لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنّكم. قاموا في صعيد واحد فسألوني. فأعطيت كل إنسان مسألته. ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المِخيطُ إذا أُدخل البحرَ. يا عبادي! إنما هي أعمالكم أحصيها لكم. ثم أوفّيكُم إياها. فمن وجد خيراً فليحمد الله. ومن وجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه». قال سعيد: كان أبو إدريس الخولاني، إذا حدّث بهذا الحديث، جثا على ركبتيه.

قد عشتُ سكراناً في حلٍّ وفي حرم	أفقتُ والقبر مشروحٌ بكلِّ فم
أيّ فتية الكهف صوتُ الروح خلوتكم	إني ساوي إليها أختفي بدمي
اليوم أبحث في الحانات مسجداً	فيه أصلي يُباركُ نوره كلمي
ربي بحقّ شذا الممشى الذي ارتسمت	فيه خطاهم فعطّرُ دربٍ مختمي
ربي بحقّ ورودٍ كأسها حملت	أنوار إيمانهم باركٌ وداع فمي
ربّاه جذوة نار الروح ما خمدت	لكنّ سرّ حروفي الآن ينكتم

بوركت روعي وكوني منجما عطرا	اليوم يغلق كهفك فاحفظي نظمي
صوفيّة النور والمعنى قد اتحدت	فينا تلاقى انتهاء الفكر بالكلم
في موسم العشق أدركت اللبيب أيا	طه وأخيتهُ المجنون في الحرم
قطره بقطره صهرت الروح فالتهمت	داود يمزج عين القطر في القلم
إذ مرّة تلو مرّة قد لعبت بنا	لا حل يُبعث في دربي، لذا أهِم
لحظه بلحظه نسفت العقل دون أثر	في سُوق عشقٍ أنا أشحد على العلم
في موسم العشق قد أدركتني وجرى	في قبلي ماءً عشقٍ جاد بالنعيم
لا مرهمٌ يتّحد أو يقتفي جسدي	إني رمادٌ أخبأ نبضة النعم
ربّاه لا تشفني، لا تشفني أبدا	الروح ناضرةً بالعشق في كتم
أسكر علانيةً، سكرٌ حيّكم	لا، لن تقيموا عليّ الحدّ في حزم
السوط مرتخيّ والسيف ذائبةٌ	في حيّ عشقٍ أنا المخمور لا أقم
يا يوشع الشمس لا زالت تضيء لنا	شمس الحبيب فلن تغرب لذا ابتسم
هنا سنينا وأرض العشق قد فُتحت	سموا وربي يبارك طيبة الكرم
الله بارك هذا الفتح فانتشري	يا مقلّة العشق في زيتونة الحرم
أي أرض ميعاد عشقٍ فيك قد طلعت	أزهار أرواحنا في برعم النعم

عشّاقُ أحمدَ تنادوا في محافلنا
 في لحظةٍ أقبلوا بالبشر قد خفقوا
 الآن أرجعْ إلى الله الذي سطعت
 الروح تهوي أيا طه انتهيتُ هنا
 نلقاك يا طه عند الحوض تُغدقنا
 بوابة العشق في لولاك ما فتحت
 من فرط وجدي دمائي في السما هملت
 واليوم آخرُ أزهارِي سأُنثرُها
 دعني ألفُ جميعَ الذكرياتِ، أضعُ
 يعبقُ ختامي ويندَى اللفظ في شفتي
 تبقيْن في زمني أغلى الهدايا ففقدُ
 كنت انشراحَ سنينٍ ألهبتُ عمري
 فصلي حريزُ سيطمسن لون أربعةٍ
 ماج الضياء فأغدق كل مزهرة
 يلتفّ حول الشذا الرقراق بُرعمها
 أين الفتى المستعرُ في الروح والقلم
 يا عاشقُ انفض فنصرُ الله يُستلم
 آياته في فؤادٍ هاج في كتم
 يا رب أذن لقاء الحشرِ في سَلَم
 إني أموت ووعدُ العشق يُحترم
 بارك دخولي على تعظيم محترم
 تغرقُ سماواتنا في رجفة الكلم
 إذ رحلتِ تنتهي، وقتُ الرحيل حَمِي
 أنوارَها في نوايا الحبر والقلم
 دوما ويبقى انتظامُ اللحنِ في الكلم
 أهداكِ ربي: لمست القلب، لم أنم
 هديّةٌ دُرّها التسييحُ في الظلم
 قد صرْتُ موسمَ عشقٍ في الصدى احتشم
 في مظهرٍ بلّ رُوحانية العلم
 روضكُ ترطبه الأبيات في كتم

مثل اليلنجوج⁵⁶ تَدَى فاهُ أَبْجَرَةٌ
 ينساب عطركِ يلقيني شذا الحرم
 في ومضة فالسُّهى قد شقَّ خاطري
 أمسى ثُرَيْتَها بالحرف والكلم⁵⁷
 أوفى دموعي إلى ثُرْب الصِّفا زَمنا
 وإنهَلَّ عطر الخُزامى في مدى الحرم⁵⁸
 إني انتهيتُ إلى بابٍ يفيضُ شذاً
 ترققتُ دمعتي في ظِلِّ مُقْتَحَمِي
 يَنْدَى رحيقُ الهُدَى المختوم من قَدَمٍ
 عبَرَ الشَّيا ويُرْسِلُ قطرةَ الحَرَمِ
 ساقتُ صحائفُ أنفاسي شذاً ولهي
 تَرَوِي حكايا سُطورٍ في مدى القلم
 أنشَدْتُ فيها ظلالَ المدحِ هَذْهَدَةً
 وأنسَلَّ فيها رحيقُ الحبِّ يَحْتَشِمِ
 حتى تَضَوُّعٌ وفاحِ العطرُ في نَفْسٍ
 تَهْتَزُّ أوتاره في لحنِ ذي سَلَمِ
 واليوم دعني أقفُ فوق المغيبِ أرى
 يوم الحياة التي قد عاشها قلَمِي
 ذوقُ الختامِ سِيرَسِي ظِلٌّ بادئةٌ
 هذه رسالةُ قلبٍ صادقِ الكلم
 لنْ ننتهي لختامٍ يا هُدًى بَرَقَتْ
 فينا شمائلُهُ يا هادِي الأمَمِ

⁵⁶ اليلنجوج أو العود الهندي: شجرة معمرة ودائمة الخضرة ويستعمل عودها كبخور.

⁵⁷ السهى: نجم في السماء، الثريا: كوكبة نجمية.

⁵⁸ أوفت: أوفى بالشيء إذا أوصله، الصفا: جبل الصفا، وفي السياق جبل الصفا والمروة وتم حذف المروة للتلازم بينهما، والخزامى: نبات له أزهار صغيرة ويتميز برائحة عطرة.

تدري بأنّ بحارَ الشَّعرِ ما نَفِدت
لكنها بَلَّغَتْ في الدربِ مقصَدها
لا فضلَ لي، كل فضلٍ قلت مرجعه
يا رِقَّة القلب في أرضك قد ازدهرت
طافت رِياح الهوى في أرضٍ ساهدةٍ
تيجانُ ورَدَتِكُمْ قد بثُّ أَلْثَمُهَا
قد أَخْجَلْتُ عطرَ دارينَ⁶⁰ التي انتعشت
في لحظة الوحدةِ استأنستُ ما فتأت
مولاي أَشتاقُ والأشواقَ آملُهُ
أنت اصطفيتهُ محياه البديعَ أسرُ
أنت اجْتَبَيْتَهُ قد اشتقتُ الدنا دمعت
ما حيلتي واصطبار القلب يؤنسني

ورحلتني ما انتهت بالحبرِ والقلم
تَفَتَّحَتْ وردَةُ العُمَرِ الذي ابتسم
للوَاحِدِ الأَحدِ الباري مدى النسم
أزهار عشقي شذاها ينتشرُ بدمي
في كل حينٍ أيا ربي أبيت ظمي
حتى رأيتُ جلاءَ الليلِ لو جِئْتُ⁵⁹
واليوم ترسلُ لروحي عنبرَ الكرم
أنوار ذكركَ تنير البيت في الظلم
رجوى اللقاء مسير الدمع سلّ دمي
أفكار قلبي وروحي ثم لم أنم
عيناى يشغلُ عقلي في شذا كلمي
إذ يمتزجُ بدعاء الروح في الظلم

⁵⁹ جثم الليل: إذا انتصف.

⁶⁰ دارين: قرية سعودية، اشتهرت قديماً بميناء دارين الذي كانت تَرِدُ إليه مختلف أنواع العطور والتوابل من الهند، والمنسوجات الحريرية من الصين.

ذابت يدي في رؤاكم، من إماهتها
لَقْتُ بألوانها الأشواقَ وارتحلت
سِرْنَا ليالٍ وقد لاحت مدينتنا
طارَتْ حروفي جناحها ترفُّ وقد
كانتْ حُرُوفًا وقد جَمَعْتُهَا كَلِمًا
دُرِّيَّة رُوحٍ مشتاقٍ لكم وهنا
أنفاسُها عذبةٌ، رُوحِيَّةٌ وشَدَتْ
لوئُكُ تَمَازُجٍ فيه سرٌّ طالعةٍ
إلى الحبيب انتهتْ أشواقنا فمتى
نُحوَاك ما لاقتِ الإشراقَ مشمسةً
روحي انتهت إلى روضٍ تزيّنه
تنسلّ عبر خيالاتي رُسُومٌ هُدىً
إني سألتُ القمرَ والشمسَ كلَّ فَلَكٍ
ألقي الإله ضياءً ضمَّ طلعتَه
زَيْنُ المجراتِ في الأزمانِ أظْهَرَهُ

تجسّدتْ صورة التحنان والقيم
إلى المدينة ذا سَعْدُكَ أيا قلمي
قلت اقبلي بردي يا درة النعم
كَبَبْتُ فيها أحاسيسي بملء فمي
حتى نسجتُ ضياء الحبِّ في الألم
إني تركتُ اصطباري يَحْتَضِنُ ألمي
في داخلي لمسةً كونيّة العَلَمِ
ساعاتُ ليلِكَ تحاكي الفجر فابتسمي
إبصار طلّته فيه السّنا انسجم
نُحوَاك ما تبزغُ الأقمارُ في الظلم
آيات شوقٍ بديعٍ دَبَّ في النّسم
تَوَشَّحَ القمرُ الأنوارَ في كتم
عن مجتبي الواحد الديان في الأمم
سَوّاه ربي، فَصَوَّرَ رونق الحرم
ربُّ عظيم يُسَوِّي صورة العدم

أَلْقَيْتُ أَسْلِحَتِي وَانصَعْتُ لِلْقَلَمِ	ذَابَتْ ثُلُوجُ الْهَدَى مُسْتَسْلِمًا لَهْوً
شِرَارَةُ الرُّوحِ فَاسِمُ الشُّوقِ رَوْضَ فَمِي	مَذَابُ قَلْبِي بِنَارِ الْعَشْقِ وَانْطَلَقْتُ
فِي رَوْضَتِكَ، فِي مَدَارَاتِكَ أَنَا أَهْمُ	صَيَّرْتَنِي كَهَيْلَالِ الشَّهْرِ مُنْطَرِحًا
يُلْهَبُ مِشَاعِلُ حَبِّ يَنْسَكِبُ بَدْمِي	فِي فَوْرَةِ الشُّوقِ يَنْسَابُ الْهَوَى مَطْرًا
آفَاقُ رُوحِي أَعْطَرَ كَوَكَبِ الْكَلَمِ	وَدَّعْتُ عَقْلِي نَحْرُتُ الْقَلْبِ مَخْتَرًا
نُجُمَاتُ شَعْرِي تُضِيءُ الْوِزْنَ فِي النِّظَمِ	قَلْبِي تَفْتَحُ بِمَاءِ الْعَشْقِ فَاسْتَعْرَتْ
فَانْهَلَّ غَيْثُ بَدِيعِ النُّورِ فِي الْقَلَمِ	أَذْبَتْ حُرْفِي وَصَوْتِي فِي جَنَائِكُمْ
بِكُوكَبِي تَتَّحَدُ: نُجْمِي سَطَعَ بَدْمِي	الرُّوحُ تَهْوِي، سَمَاوَاتُ الْهَوَى أَلْقَتْ
مَوْلَايَ آوِ فُؤَادِي مِنْ لَظَى جُزْئِي	إِنِّي إِلَهِي بِبَابِكَ - تَائِبَةٌ شَرِدُ
رُوحِي عَلَى وَرْدَةِ الْعَشْقِ ارْتَجَازَ فَمِي	جَبْرِيلُ شَقَّ حُرُوفَ الثَّغْرِ فَاَنْفَجَرَتْ
فِي حَرَّةٍ: الْأَحَدُ السُّبْحَانُ مِنْ قَدَمِ	الْعَشْقِ أَسْكُرُ بِلَالًا فَاَنْطَرَحُ وَلَهَا
رَبَّاهُ وَامْتَزَجَ التَّسْبِيحُ كُلُّ فَمِ	لَمْ يَدْرِكُوا حَجْرًا سَبَّحَ عَلَى جَسَدِهِ
لَا، لَا إِلَهَ سِوَاهُ اخْتَمَ عَلَى كَلْمِي	كَوْنُ يَسْبَحُ وَرِيحُ الْعَشْقِ خَافِقَةٌ
عَذْبُ شَجِيٍّ شَهِيدِ الْعَشْقِ لَا تَلَمِ	رَدَّدَ أَذَانَ بِلَالٍ فِي قَوَافِلِنَا
فِينَا الصَّلَاةُ سَجُودًا مِنْهُ لَا نَقَمِ	نَصَدِّحُ أَرْحَانًا بِهَا تَدْرِي لَقَدْ حُتِمَتْ

عثمانُ أجرى دموع الخلق فارتسمت	مرجان عشق على سَجّادة العدم
فاض النّدا والمُجّده لا تُبَد	بالله عشّاقك الهلكى ولا تَسُم
أدعوك يا خالقي بارك تهافتنا	إن الليالي مناجاةً لَتَنكُتم
رباه إني صريعُ العشق منطرحُ	حتى خيالي معي ما صار ينسجم
عَلَّقْتُ زيتونةً من زيتها قبسُ	يرتدّ مشكاة نورٍ لا ولا يُرم
لا شرق يدركها أو غرب يسبقها	ربي يباركها في الروح والقلم
لا تحمليني ككأسٍ إن تكادُ تَقْضُ	هيا اشربي كترياق الألم بدمي
ربّاه هذا الهوى الممتدّ يعبرني	لا أستطيع احتواءه فاقض محتتمي
مولاي أصبَعُنّا الإسلام تَكْرِمةً	مولاي فاغفر خطايانا مع اللّمْ ⁶¹
رباه تدري سوى أحمدٍ فلا قمرُ	نبصره، لا كوكبٌ في كوننا ابتسم
أي ربّ صلّ عليه كلّ بادئةٍ	صليّ عليه بفتح سارٍ في الختم

⁶¹ اللّم: اختلف فيه، هناك من قال أن اللّم هو ما دون الشرك، وهناك من قال أنه صغار الذنوب.

بفضل الله سبحانه وتعالى وببركة رسول الله ﷺ تمت البردة الألفية في مدح خير البرية

أنشودة الليل التعبدية من روضة النور المحمدية ﷺ

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

الخاتمة

أي ربّ أنا لم أقتل نفسي، أنا فقط تركت العشق يفعل بي ما يشاء فقتلني... أي ربّ في دنيائي لم يطلع سواك على أسراري ولم يعرف أحد أنني عاشق ولهان، تذرّث بثوب العلم والحكمة وارتديت ثوب الوقار... أي ربّ لمّا أوردت لحدي كيف صرت مفضوحاً؟ كيف صار عشقي آية تتلى على ألسنة العالمين؟

أي ربّ، أي محبوبٍ الأزلي، أرني أفقا آخر، أقسم باسمك العظيم الأعظم الأعزّ الأجل الأكرم أنني سأطير إليه، لأنه هو النبي لا كذب، لأنه هو ابن عبد المطلب... إن كان عشقه غلوا، ها فأنا مغالٍ في عشقه...

أعلم يا ربّ أنني عبد حقير ذليل، لكن كيف أبقى صامتا وأنا سكران من كأس عشقك ومن حبيبك المجتبي. أنا يا ربّ احترقت وذبّنت وانتهيت ولم أعد موجوداً، العشق دمّرني وبخناجر الشوق قام بنحري، فأبيت إلا أن أتكلّم من هناك.

فيا ربّ، إني بحقّ النبي الأمي القرشي الهاشمي العربي التهامي المكي المدني أتوسل إليك... اللهم بحقّ عشاق المجتبي أتوسل إليك... كن معي يا رب...

شمسي شارفت على المغيب، أنا أستسلم لغروبها، لكن شمسك أنت، وشمسك أنت ستطلع فوق أحلامك لتشرق وتسطع، فذلك الطفل الصغير الساكن داخلك أنت، ينظر إليك بخجل و ينتظر أن تُصلح لعبته، تلك الطفلة الصغيرة الساكنة داخلك أنت، تنظر إليك، تنتظر أن تحيطي ملابس جديدة لدميتها. عندما ننظر إليهما فنحن نقرّ بجهلنا، وحين نحدّثهما فنحن نضع أنفسنا، حينها فقط، يرفعنا الله تعالى، لنكتشف أن كل إبداع استثنائي ومعقد لا يعدو لعباً يشبه لعب الطفلة الصغيرة بالدمية أو الدبّوب، أو لعب الطفل الصغير بالطين!

البراءة تلون وجدان كل طفل صغير وكل طفلة صغيرة، وكل شخص حالم، لكن عند الحديث عن العلاقة بين البراءة والعبقرية، الكثير من الأسئلة تُطرح: البراءة رقيقة، العبقرية جارفة، البراءة هادئة، العبقرية تعمّها الفوضى، البراءة صامتة، والعبقرية صارخة، البراءة يرافقها الجهل، العبقرية ترافقها المعرفة، البراءة يمكن إيقافها، والعبقرية تكتسح، البراءة تتدمر، العبقرية تُدمّر، البراءة مسالمة، العبقرية ثائرة، كل هذه الأمور تجعلنا نشعر بالعجز أمام قوة الإبداع، والحقيقة أننا لا نستطيع النظر إلى حقيقته.

خلف كل إبداع استثنائي ومجنون، هناك براءة طفولية تشعّ، تجعلنا نغمض العين ونقول أن الإبداع المجنون راجع إلى عبقرية صرفة، ناسين تماما أنه خلف صراخ العبقرية في وجه المفاهيم يكمن صمت البراءة، خلف فوضى العبقرية يكمن هدوء البراءة، وخلف جنون الإبداع تكمن براءة الاكتشاف، خلف كل اكتشاف وكل إبداع خلاق، تكمن براءة تتحرّق شوقا للمعرفة.

لذلك الطفل الصغير الساكن داخلك أنت، لتلك الطفلة الصغيرة الساكنة داخلك أنت، يعيشان في وحدة، لكنهما مقدّران للعزلة، متألّان بالبراءة، لكن ليست لديهما أيّة عقدة، هما فقط من أريد أن أنخي ثم أهماس لهما:

صدري كان قفصا لطوفان من العواطف التي لم تتحرّر إلا بعد أن كُسرت ضلوعي، تفتّتت ثم تلاشت. اكتسحني ذلك الطوفان، أتى على كلّ شيء مقتلعا كل أساساتي، اجتثني من جذوري، غيّر معلمي كلّيا. محاني، أرسى كل اعتقاد بأني لا شيء، أيادٍ تمسكني من فكّي وتسحقه سحقا وتقول: والآن، أخبرنا ماذا تكون؟

الإجابة الوحيدة كانت: أنا ماذا؟. فالعفو يا ربّ، العفو، العفو، العفو...

أعلم أن الوصول صعب جدا، تعقيداته مربكة جدا، شدة السقوط مميتة، لكن إذا نجونا، وفقط إذا نجونا، حينها الجميع يُقسَم أنها عبقرية جارفة ومدمرة، لكنني متأكد، كما جميع الأطفال الصغار متأكدون من أنها ليست عبقرية، إنها فقط «براءة طفولية حاملة».

البردة الألفية في مدح خير البرية: أنشودة الليل التعبدية من روضة النور الحمديّة

أي رب أنا لم أقتل نفسي، أنا فقط تركت العشق يفعل بي ما يشاء فقتلني... أي رب في دنياي لم يطلع سواك على أسراري ولم يعرف أحد أنني عاشق ولهان، تدثرت بثوب العلم والحكمة وارتديت ثوب الوقار... أي رب لمّا أُورِدت لحدي كيف صرت مفضوحاً؟ كيف صار عشقي آية تتلى على ألسنة العالمين؟

أي ربّ، أي محبوبيّ الأزلي، أرني أفقا آخر، أقسم باسمك العظيم الأعظم الأعز الأجل الأكرم أنني سأطير إليه، لأنه هو النبي لا كذب، لأنه هو ابن عبد المطلب... إن كان عشقه غلوا، ها فأنا مغالٍ في عشقه...

أعلم يا رب أنني عبد حقير ذليل، لكن كيف أبقي صامتا وأنا سكران من كأس عشقك ومن حبيبك المجتبي.

أنا يا رب احترقت وذبت وانتهيت ولم أعد موجوداً، العشق دمّرني وبخناجر الشوق قام بنحري، فأبيت إلا أن أتكلم من هناك.

فيا ربّ، إني بحقّ النبي الأمي القرشي الهاشمي العربي التهامي المكي المدني أتوسل إليك... اللهم بحقّ عشاق المجتبي أتوسل إليك... كن معي يا رب...

